الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

حجاجية التعريض في الخطاب القرآني

من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

– سورة البقرة أنموذجا –

مذكرة تخرج مكملة لمتطلبات نيل شهادة ماستر ل.م.د في اللغة والأدب العربي.

شعبة: الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالب: بن عبد الله محمد

لجنة المناقشة:

د . عرابي أحمد	أستاذ تعليم العالي	رئيسا للجنة
د . سبع بلمرسلي	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا
د . بن جلول مختار	أستاذ محاضر "أ"	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442 هـ/1443 هـ - 2020 م/2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

للمحب لكتاب

الله العظيم

شكر وتقدير

لكلّ من ساهم

في هذا العمل

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾

سورة البقرة، الآية 235.

". . . وإذا كان التعريض طبقة عالية من الكلام، وفنا من فنونه العصية، لا ينقاد ولا يتسهل لكل من رامه، أو حام حول حماه، فإنه في كتاب الله تعالى يصاعد، ويعلو ويدق، حتى لا يتنبه له إلا من آتاه الله بصيرة، ينفذ بها إلى حيث يرى من دلالات العبارة القرآنية ما وراء الحدود التي تنتهي إليها بلاغات البشر، وهناك يستشرف آفاقا يطل منها على الإعجاز، كأنما يراه بإذن الله- رأي العين".

التعريض في القرآن الكريم، إبراهيم عبد الله الخولي، ص 153.

مقدمة

مقدمة :

لا شك أن اللائق بكل عاقل أن يعطي لكل شيء مقداره الحقيقي في الاعتبار، ومن أكثر هذه الأشياء حدوثا وتكررا في حياتنا اليومية التواصل عن طريق الكلام أو الكتابة، وأعظم تواصل هو ما كان بين العبد وربه؛ إذ إن واسطة ذلك هو كتابه العظيم، وتفهم معاني هذا الوحي يطيقه كل أحد، لكن الذي يحقق فيه المرام وأبعد الأهداف هو ذو الملكة العقلية الفذة، والمتسلح بما يكفيه من علوم الآلة.

ثم إن من يفهم صريح الكلام وظاهره ليس كمن يفهم مَكْنِيَّهُ ومُعَرَّضَهُ، وذلك لكون ذلك يتطلب توفيقا من الله عز وجل أولا، وتدبرا حقيقيا ثانيا، ومن أولئك الأفذاذ الذين نحسبهم كذلك: محمد الطاهر بن عاشور؛ إذ يعتبر تفسيره موسوعة بلاغية بحق، قل أن تجد عديلها بله فائقها، ومن الأساليب البلاغية التي أبدع هذا الأخير في تحريرها وتقريرها، في تطبيقها أكثر من تنظيرها: أسلوب التعريض، فما هو التعريض في لغة العرب وفي اصطلاح علماء البيان؟، وما هي أركانه؟، وما علاقته بالأساليب المشابهة له كالكناية والمجاز؟، وفيم يكمن أثره الحجاجي والإقناعي؟، ومن هو ابن عاشور؟، وما هي تفاصيل مدونته المذكورة آنفا؟... كل هذه أسئلة يجيب عنها هذا البحث، إلا أن الإشكال المحوري لهذا البحث هو:

كيف يكون أسلوب التعريض أسلوب تأثير وآلية إقناع في الخطاب القرآني، وذلك حسب قراءة ابن عاشور في تفسيره المسمى: (التحرير والتنوير)، وليس في التفسير كله؛ وإنما في دائرة أضيق هي سورة البقرة؟.

والسبب في اختيار هذا الموضوع هو ارتباطه بكتاب الله تعالى كدافع أول على الخوض فيه، ثم ارتباطه بعلم مهم من العلوم التراثية هو علم البلاغة، وأخيرا الرغبة في التكوين الجيد في هذا الجانب جانب القرآن الكريم وما يتعلق به من علوم لسانية وغيرها.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في دراسة أسلوب التعريض الذي يغفل عن الاهتمام به كثير من الباحثين وحتى من المختصين بعلوم البلاغة على وجه الخصوص، فلعل هذه الدراسة تكون دافعة لغيرها من الدراسات للتوسع فيه وتحرير مسائله والتحقيق فيها.

ولهذا البحث عدة أهداف أهمها: كسر حاجز الخوف من الكتب المطولة بحجة صعوبتها وتوسعها، ثم تجلية جزء من جهود ابن عاشور في خدمة كتاب الله تعالى من خلال أعماله في ما يختص بعلوم البلاغة الثلاثة (البيان، والمعاني، والبديع)، وترسيخ أمثال هذه النماذج في الأجيال الصاعدة من الباحثين، وغير ذلك.

وبالنسبة للدراسات السابقة في هذا الموضوع بالذات فقد اطلعت على بيانات أطروحة دكتوراه بعنوان: الكناية والتعريض في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور في النصف الأول من القرآن الكريم، لصاحبها فتح الله بن عاطي الوكيل من جامعة الأزهر، لكنها ليست منشورة على الشبكة للأسف، وتمنيت لو نشرت لكان لها أثر كبير في إثراء البحث وتعميقه، وكذلك كتاب التعريض في القرآن الكريم للخولي، وفيه تنظير وتطبيق، إلا أنه لم يذكر أن للتعريض قسمان مماثلة وملازمة، وإنما اعتبر قول من قال بعدم وجود قسمين وسار عليه، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك كما سنوضح إن شاء الله، وأيضا رسالة ماجستير بعنوان (وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي) لصاحبها البشابشة أحمد بدري منصور، وقد تطرق فيها إلى أمور لم يذكرها من تكلموا في هذا الموضوع كالفرق بين التعريض والمجاز، وإن كانت في الأصل ليست دراسة لغوية، بل هي فقهية.

وخطة هذا البحث ارتسمت في مقدمة ثم فصلين: أولاهما نظري تطرق فيه إلى مفهوم التعريض في اللغة والاصطلاح، والفرق بين الكناية والتعريض، وبينه وبين المجاز، ثم مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا، والمقصود بحجاجية التعريض.

وبعد ذلك جزء يتعلق بخصائص سورة البقرة ومضمونها، ثم ترجمة موجزة لصاحب المدونة، وبعده تعريف مختصر بالمدونة.

والفصل الثاني كان شقا تطبيقيا لما أسس في النظري، وجعل في مبحثين أولهما يحوي نماذج للقسم الأول من التعريض، وهو التعريض بالمماثلة، وثانيهما نماذج للقسم الثاني قسم التعريض بالملازمة، بمجموع عشرة نماذج بين كل منهما، والعمل ي التطبيقي كان على النحو الآتي:

- تبيين محل الشاهد من الآية ومن قول ابن عاشور المفسر لها بالتسطير تحته.
- تحليل وجه التعريض وتوضيح العلاقة بين المعنى التصريحي والتعريضي.
- ذكر بلاغة التعريض وحجاجية، والآلية الحجاجية الموظفة فيه.
- مقارنة قول ابن عاشور في الشاهد بأقوال غيره من العلماء كالزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبي حيان، والبقاعي، وأبي السعود، والشوكاني، والقاسمي.

ثم خاتمة تمثل حوصلة للبحث شاملة لنتائجه وبعض الاقتراحات والتوصيات.

أما بخصوص المنهج المتبع في هذا البحث فهو منهج جامع بين الاستقراء والوصف والتاريخية؛ إذ كان العمل في الجانب التطبيقي على تتبع المواضع التي تمثل الجزئيات، والخلوص إلى نتائج عامة تمثل الكليات، وبالنسبة للوصف فنعرض المعلومة كما يريد ابن عاشور من غير تدخل فيها بتأويل أو توجيه لا محل له.

والمنهج التاريخي تمثل في متابعة تطور مصطلح التعريض ومقارنة أقوال المعرفين له عبر الزمن.

وأهم المصادر والمراجع –ما عدا الاثنان اللذان ذكرناهما سابقا- هي: كتاب الكشاف للزمخشري، وحاشية الطيبي عليه، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب، وغيرها.

أما بالنسبة للصعوبات التي اعترضت هذا البحث هي:

- صعوبة ألفاظ وتعابير ابن عاشور في بعض المواضع من تفسيره؛ إذ إنه كتب تفسيره بلغة راقية صعبة يدركها المتخصصون.
- عدم تبيين نوع التعريض عند تطرقه له في مواضع شتى، ويبقى كلامه يحتمل النوعين معا.
- كثرة المصادر في الجانب النظري وقلتها الشديدة في الجانب التطبيقي.

الفصل الأول:

الجانب النظري

قال الله تعالى عن كتابه العظيم: {كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾}[1]، ومن كان متيقنا من حكمة الله عز وجل امتثل الأمر المتضمن في هذه الغاية العظيمة المسبوقة بلام التعليل فإنه سيقف على حقيقة كون القرآن معجزا، وأن هذا الإعجاز ليس مقتصرا على جانب دون آخر، فكما هو معجز بألفاظه هو معجز بمعانيه ومعجز أيضا برسمه... لأنه -باختصار-: {تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾}[2].

وإن المتدبر الحق ليس من يفهم ما يُصرح به ويَظهر من المعاني، وإنما هو الذي يدرك ما يخفى وما يكنى عنه كما يدرك ما يَظهر وما يَتجلى، وهذا لا يتأتى لكل أحد، وأيضا ليس كل مستوعب للكلام الآخر لمصرَّحه ومُعرَّضه كالمستوعب لصريح القرآن الكريم ومُعرَّضه.

<u>مفهوم التعريض:</u>

لا شك أن حاجة الإنسان للتكنية والتعريض والتلويح لا تقل عن حاجته للتصريح والإفصاح والتوضيح، وهذا أمر مشترك بين الأمم كلها على اختلاف ألسنتها غير مقتصر على بعضها دون الآخر، وأما العرب خصوصا فقد «كانُوا يَعِيبُونَ الرَّجُلَ إذا كان يُكَاشِفُ في كُلِّ شَيْءٍ وَيَقُولُون: لا يُحْسِنُ التَّعْرِيضَ إلاَّ ثَلْبًا»[3] فالتعريض عندهم شائع معروف، وقديم بقدم توظيفهم للسانهم.

<u>أ- لغة:</u> قال ابنُ فارسٍ (-395 هـ): «العينُ والرَّاءُ والضَّادُ بناءٌ تكثرُ فروعُهُ، وهي مَعَ كثرتها ترجعُ إلى أصلٍ واحدٍ وهو العَرْضُ الذي يخالفُ الطولَ».[4]

---

[1] سور ص، الآية 29.

[2] سورة فصلت، الآية 42.

[3] يعني أنه سفيه يصرح بمشاتمة الناس من غير كناية ولا تعريض، والثلب: الطعن في الأنساب وغيرها. ينظر: الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، (د/ط)، 1955 م، ج 2، ص 235.

[4] ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط 1/ 2001 م، ص 727.

والتعريض على وزن (تفعيل) صيغةُ مصدرٍ فعلُها (عَرَّضَ) على وزن (فَعَّلَ)، «دالة على الْجَعْلِ مِثْلَ صَوَّرَ، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْعُرْضِ -بِضَمِّ الْعَيْنِ- وَهُوَ الْجَانِبُ، أَيْ جَعَلَ كَلَامَهُ بِجَانِبٍ، وَالْجَانِبُ هُوَ الطَّرَفُ، فَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَحِيدُ بِكَلَامِهِ مِنْ جَادَّةِ الْمَعْنَى إِلَى جَانِبٍ، وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُمْ جَنَّبَهُ: أَيْ جَعَلَهُ فِي جَانِبٍ[1].

وقال ابن منظور (–711 هـ): «التعْرِيضُ: خِلَافُ التَّصْرِيحِ. والمعارِيضُ: التَّوْرِيةُ بِالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ... وَيُقَالُ: عَرّض الكاتبُ إذا كَتَبَ مُثَبِّجاً وَلَمْ يُبَيِّنِ الْحُرُوفَ وَلَمْ يُقَوِّمِ الخَطّ؛ وأَنشد الأَصمعي لِلشَّمَّاخ:

كَمَا خَطَّ عِبْرَانِيّةً بيَمينه   بتَيماءَ، حَبْرٌ ثُمَّ عَرَّضَ أَسْطُرا

والتَّعْرِيضُ فِي خِطْبَةِ المرأَة فِي عِدَّتِهَا: أَن يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُشْبِهُ خِطْبتها وَلَا يُصَرِّحَ بِهِ، وَهُوَ أَن يَقُولَ لَهَا: إِنّك لَجَمِيلَةٌ أَو إِنّ فِيكِ لبقِيّة أَو إِنّ النِّسَاءَ لَمِنْ حَاجَتِي. وَالتَّعْرِيضُ قَدْ يَكُونُ بِضَرْبِ الأَمثال وَذِكْرِ الأَلغاز فِي جُمْلَةِ الْمَقَال»[2].

وأورد الفيروزآبادي (–817 هـ) في معجمه (القاموس المحيط): «التَّعْرِيضُ: خِلافُ التَّصريحِ، وجَعْلُ الشيءِ عَريضاً... وأن يصيرَ ذا عارِضَةٍ وكلامٍ، وأن يُثَبِّجَ الكاتِبُ ولا يُبَيِّنَ، وأن يُجْعَلَ الشيءَ عَرَضاً للشيءِ»[3].

فمن خلال المعاني المذكورة للتعريض آنفا تستنتج عدة معانٍ له أهمها:

- أنه لفظ مقابل للتصريح، فالتعريض أسلوب في الكلام مخالف للتصريح، وهذا المعنى يعد محل إجماع بين أصحاب المعاجم وغيرهم على أنه الذي ينصرف إليه الذهن عند إطلاقه، لذلك

---

[1] ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (ط/د)، 1984 هـ، ج 2، ص 450.

[2] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (د/ط)، 2010 م، ج 9، ص 45-46.

[3] الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، (د/م)، ط2005/8م، ص647.

يذكرونه كلهم غالبا أول تعريفهم للجذر أو اللفظ، ومثاله أن يقول الرجل الذي له رغبة في الزواج لامرأة أعجبته كلاما يدل على طلبه لها لكن بوجه من التعبير غير صريح واضح.

- جعل الشيء عريضا يطلق عليه تعريض أيضا، والأصل في تعريض الأشياء أن يكون للماديات دون غيرها من المعنويات.
- جعل الشيء عرضا لشيء آخر يدعى تعريضا.
- تعريض الكاتب: عدم إبانته خط كتابته ومدلولاتها أيضا.

ويبقى الأصل أن هذه المعاني وغيرها التي يدل عليها التعريض تشترك في معنى محوري واحد، والذي هو العرض المقابل للطول كما ذكر ابن فارس.

ب- اصطلاحا:

لم يستقر مفهوم التعريض عند البلاغيين إلا بعد مراحل من الزمن وجهود متفاوتة من العلماء؛ لأنه -ولفترة ليست بالقصيرة- كان كثير من البيانيين يعتبرون أنه لا فرق بين التعريض والكناية، وفريق آخر منهم اعتبروا التعريض قسما من الكناية فخلطوا بينهما، لذلك قال ابن الأثير (-637 هـ): «وقدْ تكلَّم علماءُ البيانِ فوجدتهُم قدْ خَلَطُوا الكنايةَ بالتَّعريضِ ولمْ يُفرِّقُوا بينهما، ولا حَدُّوا كُلّاً منهما بحدٍ يَفْصِلُهُ عنْ صاحِبِهِ بلْ أوردوا لهما أمثلةً مِنَ النَّظمِ، والنَّثرِ، وأدخلُوا أَحَدَهما في الآخرِ، فذكروا للكناية أمثلة من التعريض، وللتعريض أمثلة من الكناية»[1]، والسببُ الدافعُ لهم في أنْ يعدُّوهما شيئا واحدا هو أن دلالتَهما غيرُ مصرحٍ بها لفظًا[2]. لذلك نجد أن ابن المعتز (-296 هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (-471 هـ)، وغيرهما كالتبريزي، والبغدادي يجعلون الكناية والتعريض شيئا واحدا[3].

[1] ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، (د/ط-ت)، ج 3 ص 49.

[2] ينظر: طبانة بدوي: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مطبعة الرسالة، مصر، ط 2/ 1958م، ص 351.

[3] ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط 2/ 2007 م، ص 381.

وقد عرفه الطبري (–310 هـ) عند تفسيره لقول الله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ}[1] -وهو الموضع الذي يتطرق فيه جل المفسرين لتعريف التعريض وتفصيلاته وأقسامه والفروقات بينه وبين ما يشبهه- بقوله: «ما كان من لحن القول[2] الذي يفهم به السامع الفَهِمُ ما يفهم بصريحه»[3]، أي: فالتعريض خلاف التصريح -أو الصريح كما في اصطلاح آخرين- لغة واصطلاحا، فلا بد من دافع للعدول عن التصريح إلى التعريض، ولا بد -أيضا- من فهم من المتلقي للمعنى التعريضي كما يفهم المعنى المعدول عنه.

ولعل الزمخشري (–538 هـ) يعد أول من فصل بين المصطلحين وفرق بينهما، وذلك عند قوله: «فإن قلت: أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: طويلُ النجادِ والحمائلِ لطول القامة وكثيرُ الرمادِ للمضيافِ. والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم. ولذلك قالوا:

.... وَحَسْبُكَ بِالتَّسلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

وكأنَّهُ إمالةُ الكلامِ إلى عُرْضٍ يدل على الغرض، ويسمى: التلويح».[4]

وتلا الزمخشريَ صاحبُ (مفتاح العلوم) السكاكيُّ (–626 هـ) الذي صرح فيه أن التعريض رابع أربعة أقسام للكناية، وذلك بقوله:

---

[1] سورة البقرة، الآية 235.

[2] في الحاشية: لحن الكلام: هو الإيماء في الكلام دون التصريح، وعبارة الطبري في تفسير هذه الكلمة، عبارة جيدة. ليس لها شبيه في كتب اللغة في شرح هذا الحرف.

[3] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (د/م)، ط 1/ 2000 م، ج 5، ص 102.

[4] الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1/ 1998 م، ج 1، ص 459. وقال المحقق: وصدر البيت: أروح لتسليم عليك وأغتدي.

متى كانت الكناية عرضية... كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسبا، وإذا لم تكن كذلك نظر، فإذا كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازم، كما في "كثير الرماد" وأشباهه، كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسبا، لأن التلويح هو: أن تشير إلى غيرك عن بعد، وإذا كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو "عريض القفا" و"عريض الوسادة" كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسبا، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية... وإذا كانت -أي ذات مسافة قريبة- لا مع نوع الخفاء... كان إطلاق اسم الإيماء والإشارة عليها مناسبا[1]،

فالتعريض -حسبه- كناية عرضية، فإن لم تكن عرضية فهي إما تلويح، وإما رمز، وإما إيماء أو إشارة، والذي يحدد أيها كذلك هو اللوازم والقرائن.

أما ابن الأثير (-637 هـ) فعرفه بقوله: «اللفظ الدال على المفهوم لا بالوضع الحقيقي والمجازي»[2]، ومقصود كلامه في القيد الذي وضعه -لا بالوضع الحقيقي والمجازي- أن المعنى الأصلي المحتوى في اللفظ المعبر به سواء كان حقيقيا أو مجازيا فهو ليس المقصود، وإنما المقصود هو المعنى الذي ينجم عنهما فيفهم، أي المعنى التعريضي.

ثمَّ جاءَ السبكي تقي الدين بنُ عبد الكافي (-756 هـ) فأفردَ رسالةً كاملةً في التفريقِ بينَ الكِنَايةِ والتَّعريضِ سَمَّاهَا بِ (الإغريضُ في الفرقِ بينَ الكِنَايةِ والتَّعريضِ)[3]، وقد ذكرها صاحب كشف الظنون.[4] وقدْ جَاءَ فيها "التَّعريضُ: هو لفظٌ استعمِلَ في معناهُ للتلويحِ بغيرِهِ نحو: {بَلْ فَعَلَهُۥ

[1] السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2000/1 م، ص 521-522.

[2] ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 3 ص 56،57.

[3] حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، (د/ط)، 1941 م، م 1 ص 81.

[4] ينظر: البشابشة أحمد بدري منصور: وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، (د/ د- م)، 1428 هـ، ص 25.

كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا}[1] نَسَبَ الفعلَ إلى كبيرِ الأصنامِ المتَّخِذَةِ آلهةً كأنَّهُ غَضِبَ أنْ تُعْبَدَ الصِّغَارُ مَعَهُ، تلويحًا لِعَابِدِها بأنَّها لا تَصْلُحُ أنْ تكونَ آلهةً، لِمَا يعلمونَ إذا نظروا بعقولِهِم عَنْ عجزِ كَبيرِهَا عنْ ذلكَ الفِعلِ، والإلَهُ لا يكونُ عاجزًا فهو حقيقةٌ أبدًا[2].

وتعريفا ابن الأثير والطبري –وإن كان صاحباهما متقدمين زمانيا خصوصا الثاني–كانا هما اللذين اعتمدهما الخولي في آخر الفصل الأول بعد دراسة مطولة لتعاريف العلماء المختلفة لهذا المصطلح ومقارنتها، وعدهما كأفضل تعريفين للمصطلح كونهما جامعين مانعين على وجازتهما باعتبار أن تعريف ابن الأثير أدق من تعريف الطبري، لأنه لم يتطرق لحقيقية الوضع أو مجازيته كما فعل ابن الأثير، لكن بالجمع بينهما يصبح مفهوم المصطلح أصوب وأدق.[3].

وأما بالنسبة لصاحب المدونة المدروسة –ابن عاشور(–1393هـ)– فقد عرفه قائلا: «فَالتَّعْرِيضُ أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا، غَيْرَ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِالتَّرْكِيبِ وَضْعًا، لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَ مَدْلُولِ الْكَلَامِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ، مَعَ قَرِينَةٍ عَلَى إِرَادَةِ الْمَعْنَى التَّعْرِيضِيِّ، فَعُلِمَ أَلَّا بُدَّ مِنْ مُنَاسَبَةٍ بَيْنَ مَدْلُولِ الْكَلَامِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ، وَتِلْكَ الْمُنَاسَبَةُ: إِمَّا مُلَازِمَةٌ أَوْ مُمَاثِلَةٌ».[4]

ووجه المناسبة بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي للتعريض هو ما وضحه ابن الأثير بقوله: «وإنما سمي التعريض تعريضا؛ لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي: من جانبه، وعرض كل شيء جانبه»[5]، ومن جانب آخر أنه لا يخرج عن معنى التلميح الذي هو خلاف التصريح[6]، والزمخشري أيضا أسماه تلويحا –كما ذكرنا في تعريفه–.

---

[1] سورة الأنبياء، آية 63.

[2] انظر: السيوطي أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1988/1 م، م 1، ص 220.

[3] ينظر: الخولي إبراهيم محمد عبد الله: التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر القاهرة، ط 1/ 2004 م، ص 38.

[4] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 450.

[5] ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 3 ص 56،57.

[6] ساموه علي، أسلوب التعريض في القرآن الكريم وفوائده التربوية، (د/باقي البيانات)، ص 92.

وتعريف ابن عاشور هو المعتمد لتأخر صاحبه زمانيا -أي اطلاعه على أغلب الأقوال التي سبقته إن لم يكن كلها، لا أن المتأخرين أفضل من المتقدمين-، ولاستيعابه للمصطلح فيعد جامعا مانعا.

ومنه تستنبط أربعة شروط ينبغي توفرها مجتمعة وإلا لم تعدَّ الصورة تعريضا، وهي:

1- الضمنية: أن يكون المعنى المعرض به ضمنيا غير صريح.

2- التركيب: أن يأتي اللفظ الدال عليه مركبا لا مفردا، وإلا عُدَّ كناية، لأن الكناية هي التي تكون في المفردة كما تكون في التركيب.

3- القرينة: أي اللازمة التي تصرفه عن المعنى اللفظي الحقيقي أو المجازي المحتوى في التركيب إلى المعنى المقصود.

4- المناسبة: أي بين مفهوم التركيب والمعنى المقصود، وهي تنقسم إلى قسمين، وهذان القسمان أشار الطيبي إلى مفهومهما، أما الذي سماهما فهو ابن عاشور، وهما:

أ- مماثلة أو مقايسة: أن يكون الكلام مسوقا لأجل موصوف غير مذكور، أو أن يذكر صورة مشابهة لحالة المتلقي ليقارنها مع نفسه من غير أن يصرح بذلك.

ب- ملازمة أو اقتضاء: أن يكون الكلام مسوقا لمقتضى الحال، أو هو كلام مطلق يستلزم معناه وجود معنى آخر يقتضي أن يكون المعرض به هو المقصود بالكلام من غير تمثيل بصورة أو معيار ما[1]، أو أن يكون المعنى الظاهر من اللفظ يستلزم معنى آخر -هو المعنى التعريضي- ويقتضيه.[2]

وقد عبر عن هذه المناسبة بقوله:

---

[1] ينظر: الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (د/م)، ط 1/ 2013 م، ج 2 ص 456.

[2] ينظر: سبع بلمرسلي: حجاجية التعريض بطريق المماثلة في قراءة الزمخشري للخطاب القرآني من خلال تفسيره الكشاف -دراسة مقارنة لنماذج مختارة-، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، (د/باقي البيانات)، ص 8.

وَجَعَلَ الطِّيبِيُّ مِنْهُ قَوْله تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﷺ}[1]، فَالْمَعْنَى التَّعْرِيضِيُّ فِي مِثْلِ هَذَا حَاصِلٌ مِنَ الْمُلَازَمَةِ.

وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ» فِي حَضْرَةِ مَنْ عُرِفَ بِأَذَى النَّاسِ، فَالْمَعْنَى التَّعْرِيضِيُّ حَاصِلٌ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ بِمُمَاثَلَةِ حَالِ الشَّخْصِ الْمَقْصُودِ لِلْحَالَةِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا مَعْنَى الْكَلَامِ.

وَلَمَّا كَانَتِ الْمُمَاثَلَةُ شَبِيهَةً بِالْمُلَازَمَةِ -لِأَنَّ حُضُورَ الْمُمَاثِلِ فِي الذِّهْنِ يُقَارِنُ حُضُورَ مَثِيلِهِ- صَحَّ أَنْ نَقُولَ إِنَّ الْمَعْنَى التَّعْرِيضِيَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُرَكَّبَاتِ شَبِيهٌ بِالْمَعْنَى الْكِنَائِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: الْمَعْنَى التَّعْرِيضِيُّ مِنْ قَبِيلِ الْكِنَايَةِ بِالْمُرَكَّبِ فَخُصَّ بِاسْمِ التَّعْرِيضِ كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى الْكِنَائِيَّ مِنْ قَبِيلِ الْكِنَايَةِ بِاللَّفْظِ الْمُفْرَدِ؛ وَعَلَى هَذَا فَالتَّعْرِيضُ مِنْ مُسْتَتْبَعَاتِ التَّرَاكِيبِ، وَهَذَا هُوَ الْمُلَاقِي لِمَا دَرَجَ عَلَيْهِ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَالتَّعْرِيضُ عِنْدَهُ مُغَايِرٌ لِلْكِنَايَةِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَإِنْ كَانَ شَبِيهًا بِهَا، وَلِذَلِكَ احْتَاجَ إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا، فَالنِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا عِنْدَهُ التَّبَايُنُ.

وَأَمَّا السَّكَّاكِيُّ فَقَدْ جَعَلَ بَعْضَ التَّعْرِيضِ مِنَ الْكِنَايَةِ وَهُوَ الْأَصْوَبُ، فَصَارَتِ النِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا الْعُمُومَ وَالْخُصُوصَ الْوَجْهِيَّ، وَقَدْ حَمَلَ الطِّيبِيُّ وَالتَّفْتَازَانِيُّ كَلَامَ «الْكَشَّافِ» عَلَى هَذَا، وَلَا إِخَالُهُ يَتَحَمَّلُهُ»[2].

وما ذكره في هذا القول هو ما سنلخص أهمه في العنصر الموالي.

<u>الفرق بين التعريض والكناية:</u> نخلص من خلال ما سبق إلى أن الفرق بين التعريض والكناية يتمثل في[3]:

[1] سورة المائدة، الآية 116.

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 2 ص 451.

[3] وهذا الفرق مستخلص من عدة مصادر:

- طبانة بدوي: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص 355.
- أحمد مطلوب: فنون بلاغية (البيان، البديع)، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 1/ 1975 م، ص 186.

- التعريض أن تذكر معنى تدل به على معنى لم تذكره، أما الكناية فهي أن تذكر المعنى بغير لفظه الموضوع له.
- التعريض ليس داخلا في المجاز، لأنه مفهوم من جهة القرينة ولا تعلق له باللفظ حقيقيا كان أو مجازيا، أما الكناية فهي داخلة في المجاز معدودة منه.
- التعريض لا يأتي إلا في تركيب، أما الكناية فكما تأتي في التركيب تأتي في المفردة.
- باعتبار الدلالة فإن التعريض أخفى دلالة من الكناية وأكثر غموضا وإبهاما، فدلالَةُ التَّعريضِ تؤخذُ مِنْ جهةِ السِّياقِ والحالِ والقرائنِ، والذي يدل عليه لفظه أوضح من الذي لا يدل عليه لفظه حتى وإن علمت دلالته بطريقة أخرى، ومثال ذلك: لو قال قائل لمستمعه–بافتراضنا نجهل سياق كلامه-: «فلان نؤوم الضحى»، فإننا ندرك أنه استخدم كناية ليدل بها على رفاهة عيش فلان من الناس، وأن السياق الذي يتحدث فيه هو الغنى الفاحش الذي يتميز به فلان وأنه كثير الخدم وليس عنده ما يقلقه و...، أما لو قال: «آباؤنا كانوا يستيقظون قبل صياح الديك»، فإننا لا ندري هل هو يخبر عن معيشة آبائه كما يظهر من لفظه، أو يمدحهم بصنيعهم ذلك أو...، لكنه لو أراد التعريض بفلان السابق بقوله هذا لكان فهمه أغمض من توظيفه للكناية الأولى، ومن باب أولى من تصريحه لو صرح بذلك وقال: «فلان كسول عديم المسؤولية»، فمن هذا الباب يعد التعريض أغمض في دلالته من الكناية.
- المعنَى الكِنَائِي والمعنَى الحقيقي في التَّعريضِ مقصودانِ على السَّواءِ، أما في الكناية فالمعنَى الكِنَائِي مَقْصودٌ أصالةً، والمعنَى الحقيقي مقصودٌ تَبَعًا.

ويبقى سؤال مطروح: هل التعريض حقا قسم من أقسام الكناية –كما قال السكاكي وغيره- أو هو صورة بيانية تعبيرية تختلف عن الكناية ولا ارتباط له بها كما قالت طائفة أخرى؟.

والجواب هو ما ذكره أحد الباحثين بقوله:

- البشابشة أحمد بدري منصور: وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي، ص 28.

نؤكد أنه لا تناقض ولا تصادم، ذلك أن الحالة التي يكون فيها التعريض مستوى دلاليا داخل الفضاء الدلالي للكناية -إلى جانب التلويح والإيماء والرمز- إنما هي الحالة التي يأتي فيها التعريض عن طريق الكناية متضمنا فيها لابسا لبوسها، أما إذا تجاوزها إلى لبوس الحقيقة أو المجاز فإن الكناية تنتهي عند خط هذا التجاوز، ومع ذلك فإن هذه الحالة -حالة تمازج الكناية مع التعريض- لا تلغي استقلاليته وتميزه، بل تؤكد أنه أشمل وأعم من الكناية التي لا يلغى تميزها واستقلاليتها بالنسبة إليه أيضا[1].

وهذا التفصيل مسدد ويبطل كثيرا من الخلاف الذي لا طائل بعده، وربما كان التعريض بهذا الاعتبار أعم وأشمل، لكن من وجه آخر تكون الكناية هي الأعم -وقد أشرت في قول ابن عاشور إليه من قبل- وذلك باعتبار الإفراد والتركيب، فالكناية تأتي بالمفرد كما بالمركب، بينما لا يكون التعريض إلا تركيبا، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص.

الفرق بين التعريض والمجاز:

والفرقُ الأساسيُّ بينَ المجازِ والتَّعريضِ هو أنَّ بينَ كُلٍّ مِنَ المعنى الحقيقيِّ والمعنى المجازيِّ علاقةً في حينِ أنَّ التَّعريضِ ليسَ يُوجدُ فِيهِ علاقةٌ بينَ المعنى الحقيقيِّ والتَّعْرِيضِي، بلْ لَرُبَّما يَقَعُ بينهما التَّعارُضُ والتَّضَادُّ[2].ففي المجاز مناسبة بين معنييه، أما في التعريض فتنعدم هذه المناسبة، بل قد تتجاوز ذلك لحد التعارض.

ومثال ذلك: قولنا في المجاز عن عالم ما: (لقيت بحرا)، فهذا اللفظ استعمل في غير معناه الأصلي الذي هو التقاء عالم واسع المعرفة، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي هي (السعة)، وعندنا قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي وهي التقاء البحر.

---

[1] صالحي إبراهيم: التعريض في مدائح المتنبي الكافورية دراسة في الأسلوب والدلالة، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، الجزائر، 2008-2009 م، ص 38.

[2] ينظر: البشابشة أحمد بدري منصور: وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي، ص 36.

ومثال قولنا في التعريض بمن يكثر الكذب: (المسلم الحق صادق أبدا)، فالمعنى المعرض به هو: "إن كنت مسلما حقا فكن صادقا لا كاذبا"، أو: "دعك من الكذب وترفع عنه"، فلا وجود لمناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المعرض به، ولكن السياق أو المقام هو الذي يحدد ذلك، وكما يمكن للمتلقي أن يفهمه فيمكن أيضا أن يمتنع فهمه عنه، على خلاف المجاز فإن الأصل والغالب على كل الناس فهمه؛ وذلك لاستحالة المعنى الحقيقي.

الحجاج والحجاجية:

لا اعتبار بأي دعوى -مهما كان صاحبها- ما لم يدلل عليها بدليل يعقله متلقوه عنه، والإتيان بالحجج لا يتأتى لكل أحد في المسائل المادية المحسوسة، فكيف في المسائل المجردة العلمية الدقيقة المعقدة؟!، لذلك نجد كثيرا من المسائل العلمية لم يفصل القول فيها إلى اليوم، والحجاج فيها لا يزال مستمرا.

تعريف الحجاج:

قد وردت هذه اللفظة في كتاب الله في عدة مواضع وبعدة اشتقاقات وتصريفات، ومن ذلك قوله تعالى: {وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ }[1]، وقوله تعالى: {وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ }[2]، والقرآن الكريم نزل بلسان العرب فلفظه مفرداته هو لفظ مفرداتهم، ومعنى مفرداته هو معنى مفرداتهم، فما معنى مفردة الحجاج عندهم؟.

أ- لغة:

مصدر فعله: حَاجَّ أو حَاجَجَ، وكلاهما رباعي على وزن (فَاعَلَ) الذي من معانيه المشاركة، فالحجاج في اللغة يقتضي وجود طرفين يشتركان في النقاش كل منهما يدلي بما عنده، وقد قال في ذلك ابن منظور:

> حاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ.
> وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَحَجَّ آدمُ مُوسَى»: أَي غَلَبَه بالحُجَّة.
> واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمِسْلَكُ.

---

[1] سورة الأنعام، الآية 80.

[2] سورة الأنعام، الآية 83.

وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ: «إن يَخْرُجْ وأَنا فِيكُمْ فأَنا حَجِيجُه»، أَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإِظهار الحُجَّة عَلَيْهِ، والحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ، يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: «فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي»: أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة.[1]

ومنه تكون الحجة هي الإثبات والدليل والبرهان، والحجاج هو التنازع والجدال والنقاش[2].

ب- اصطلاحا:

من القدماء الذين عرفوا هذا المصطلح: الشريف الجرجاني، فقال: «الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد»[3]، وشيوع هذا المصطلح عندهم كان في حقل مشهور هو حقل المناظرات والردود والخلافات والترجيح و... في مختلف المجالات العلمية من العقيدة والفقه واللغة بعلومها والكلام...

ومن المحدثين وأصحاب الدرس اللساني العربي الحديث طه عبد الرحمن، وعرفه بقوله: «إنه كل منطوق به موجه إلى الغير، لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[4]، أي لا بد من وجود نية ادعاء عند الملقي، ونية اعتراض عند المتلقي[5].

ويعرف محمد الولي الحجاج -باعتبار مقصِديته- على أنه: «يقصد إلى دعم رأي ما بواسطة الدفاع عنه والتنفيذ لما قد يكون رأيا معارضا له، وهذا يعني أن الحجاج هو دوما توجه نحو شخص أو جهة لأجل الإقناع وتعديل موقفه أو تثبيته»[6].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج 3، ص 51.

[2] ينظر: بوزناشة نور الدين: الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، الجزائر، 2015-2016 م، ص 11.

[3] الشريف الجرجاني علي بن محمد: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (د/ م-ط-ت)، ص 73.

[4] المصدر السابق.

[5] المصدر نفسه.

[6] المصدر نفسه.

فالطرف الملقي في هذه المذكرة هو الطاهر بن عاشور بقراءته للخطاب القرآني، والطرف المتلقي هو الطالب، وموضوع الحجاج هو التعريض في سورة البقرة وآلياته المرافقة له في كونه وسيلة إقناع وتأثير.

أما في الأصل فالمتوجه بالحجاج في القرآن هو الله تعالى، والطرف المتلقي لهذا الحجاج هو كل قارئ للقرآن أو مستمع له من: مسلمين على اختلاف درجاتهم (متقين، ومسرفين في المعاصي، وبين ذلك)، وكافرين (أهل كتاب، ومشركين، ومنافقين، ويهود، ونصارى...)، أي إن المقصود —حسب موضوعنا هو: كيف يحاجج القرآن هؤلاء المخاطبين بأسلوب التعريض؟، وما الغاية من ذلك؟.

المراد بحجاجية التعريض: أي: كيف يكون التعريض وسيلة إقناع وأسلوب تأثير بتوظيف آليات مختلفة (لغوية، وبلاغية، ومنطقية)؟، أي أن التعريض له أغراض يوظف لأجلها تشاركه فيها أساليب أخرى مشابهة له -كالكناية والاستعارة والمجاز و..-، ومخالفة له -كالتصريح والإبانة-، فما الدافع في اختيار التعريض في ذلك دون غيره؟.

وما دوره في الدلالة؟، وما الآليات الحجاجية الموظفة فيه؟

وهذا كله حسب فهم ابن عاشور وتفسيره للخطاب القرآني-كما أسلفنا- في هذه السورة، وسيُتَطَرَّقُ إلى أقوال غيره —إن وجدت ولم يتفرد ابن عاشور بالقول- في المواضع المختارة للمقارنة.

سورة البقرة: خصائصها ومضمونها:

هي أطول سور القرآن الكريم، إذ يبلغ عدد آياتها 286 آية -عند أهل العدد بالكوفة- وبإنقاص أو زيادة رقم واحد عند غيرهم، وهي السورة الثانية بعد الفاتحة حسب الترتيب الموجود بالمصحف الشريف، والسَّابِعَة وَالثَّمَانونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ وَقَبْلَ آلِ عِمْرَانَ، وهي سورة مدنية[1]، وقد قيل إنها أول سورة نزلت بالمدينة، وسميت بهذا الاسم «لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها»[2].

والأحاديث الواردة في فضل قراءتها كاملة أو آيات معينة منها كثيرة أبرزها ما رواه مسلم في صحيحه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[3]، وقال أيضا: « اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[4]، وبالنسبة لآية الكرسي حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ}[5]، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ

[1] ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 202.

[2] الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د/ ط)، 2006 م، ص 190.

[3] مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د/ط-ت)، ج 1 ص 539، رقم 212- (780).

[4] المصدر نفسه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث 252 - (804)، ج 1 ص 553.

[5] سورة البقرة، الآية 255.

أَبَا الْمُنْذِرِ»[1]، وحديث أَبِي مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[2].

وأما بالنسبة لمضامينها فحجمها يدل على أنها كثيرة المواضيع متعددة المشارب، إلا أن أصحاب مشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم أقروا أن لها موضوعا محوريا تدور حوله هو: {منهج خلافة الله في الأرض بين من أضاعوه ومن أقاموه}.

ثم إن الناظر في السورة الكريمة يجد أن خطابها وموضوعاتها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: خطاب لليهود أو عن اليهود وهذا يمثل الشطر الأول من السورة تقريبا.

والقسم الثاني: فإنه يتوجه للمسلمين بالخطاب ويكلفهم بجملة من أحكام العبادات والمعاملات المالية والأسرية والدولية، ثم تتوج السورة بختامها العظيم الذي يبين استجابة المؤمنين لأمر ربهم وتضرعهم له أن يتم عليهم أمرهم في خاصة شؤونهم وعامها.[3]

وقد عبر عن ذلك سيد قطب –رحمه الله تعالى- بقوله:

> هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا.. فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها- صلى الله عليه وسلم- وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى.

---

[1] المصدر نفسه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث 258- (810)، ج 1 ص 556.

[2] البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المطبعة السلفية، القاهرة مصر، ط 1/ 1400 هـ، ج 3 ص 342، رقم 5009.

[3] ينظر: مصطفى مسلم وآخرون: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، ط 1/ 2010، م 1 ص 28.

وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم- عليه السلام- صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم[1].

وقد كان هذان الخطان الرئيسيان محل إجماع بين كثير من المفسرين -خصوصا المعاصرين- على أن السورة الكريمة تسير وفقهما، فقريب من نصف السورة الأول يحتوي أخبار بني إسرائيل وأخلاقهم وطبائعهم والتشريعات التي اختصت بهم وخياناتهم المتكررة من فترة لأخرى وأنهم ليسوا أهلا للنعم التي يعيشون فيها، وأن هذه حالتهم أينما وجدوا ومتى ما وجدوا.

ولكن قبل الشروع في أخبار بني إسرائيل فالسورة قد استهلت بذكر المؤمنين ثم الكفار ثم المنافقين.

وأما النصف الثاني فأغلبه أحكام تخص المسلمين في عباداتهم كالصيام والحج والإنفاق في سبيل الله و.. ومعاملاتهم كالزواج والرضاع والطلاق والعدة والمداينة والبيع والشراء وسائر المعاملات المالية و...، واشتماله أيضا على بعض القصص: كقصة طالوت وجنوده، وقصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود ومع بحثه عن كيفية إحياء الموتى، وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه...

---

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط 32/ 2003 م، ج 1 ص 28.

ترجمة مختصرة للمؤلف (محمد الطاهر بن عاشور):[1]

اسمه ونسبه: هو الشيخ الإمام العلامة المصلح الموسوعي الفقيه الأصولي المفسر اللغوي الأديب أبو محمد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأصل عائلته من الأندلس وهاجروا منها فرارا من القهر والتنصير..

نشأته وطلبه للعلم وحياته: ولد بتونس سنة 1296 هـ/ 1879 م، وبما أن أسرته أسرة علم وفضل وصلاح فقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن ست سنين، وهذا من أبرز دلائل نبوغه وتميزه، ثم التحق بجامع الزيتونة عام 1310 هـ/1892 م ونال به شهادة التطويع –وهي أعلى شهادة كان يمنحها الجامع آنذاك– عام 1317 هـ/1899 م، وتولى التدريس به. والملاحظ أن المدة التي قضاها بالجامع حتى نيله الشهادة وجيزة نسبيا، إلا أن الجامع في ذلك الوقت كان منارة من منائر العلم في العالم الإسلامي أولا –فقد درس وحفظ أشهر الكتب والمتون المقررة بالجامع في الفنون المختلفة والعلوم المتعددة في الآلات والمقاصد: النحو والصرف والبلاغة والكلام وأصول الفقه ومصطلح الحديث والسيرة النبوية وفقه الحديث و.. على أشهر علماء الزيتونة في وقته كالشيخ سالم بوحاجب– مما ساهم في تكوين الشيخ تكوينا جيدا في سبع سنوات لا غير، وثانيا لمؤهلاته ومواهبه التي حباها الله إياه. ولم تمض إلا مدة مثلها حتى عين مدرسا من الطبقة الأولى به أي 1317 هـ/ 1896 م.

أخلاقه: كان صادق اللهجة، نقي السريرة، حسن السيرة، طموحا إلى المعالي، مجدا في عمله مخلصا فيه، لا يعرف الكسل إليه سبيلا، حريصا على العلم النافع عبقريا من عباقرته، دقيق النظر، له تجليات في بحوثه، محافظا على واجباته الدينية، مراعيا الآداب العامة، متلمسا شعور الآخرين.

[1] اختصرت هذه الترجمة من عدة مصادر:

ينظر: إدريس محمد أبكر محمد: الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران جمعا ودراسة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الدراسات العليا، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2011 م، 15 – 30.

وينظر: رانية جهاد إسماعيل الشوبكي: الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية – غزة، فلسطين، 2009 م، ص 6 - 14.

المناصب التي تولاها: وقد تقلد مناصب عديدة لكفاءته وثقة من حوله فيه أبرزها:

- تعيينه نائبا أول للحكومة لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة عام 1325 هـ/ 1907 م.
- تقليده منصب شيخ الإسلام المالكي، ومنصب مدير الجامع الأعظم عام 1351 هـ/1932 م، وقد كان أول الشيوخ الذين جمعوا بين هذين المنصبين، ثم استقال من الأول لمعارضة تلقاها اصطدمت مع خططه وأهدافه.
- وبعدها أعيد تعيينه شيخا لجامع الزيتونة عام 1364 هـ/ 1945 م، وفي هذه الفترة قام بإصلاحات كبيرة في النظام التعليمي بالزيتونة كان من آثارها زيادة عدد الطلاب بالزيتونة وتعدد المعاهد التعليمية.
- وفي العام الذي استقلت فيه تونس –1374 هـ/ 1956 م– أسندت إليه رئاسة جامعة الزيتونة.

جهوده العلمية والعملية: وبما أن جامع الزيتونة كان مصنعا للرجال والعلماء والمصلحين فلم يمنع ابن عاشور من أن يكون أبرزهم مجددا مصلحا مغيرا لوضع أمته نابذا للتقليد والتعصب والجمود؛ لذلك كانت آراؤه محل إعجاب الكثيرين؛ إذ شكلت نهضة في شتى الميادين العملية:(التربية والتعليم والإصلاح)، والعلمية:(العلوم الشرعية كالتفسير والأصول والمقاصد والفقه والحديث.. وغير الشرعية كالعلوم الطبيعية والرياضيات)، مما أسهم في جعل جامع الزيتونة قبلة في العطاء والريادة. فمن ذلك –أي الميدان العملي– أنه كان لا يعتبر أي نهضة لأمة من الأمم إذا لم ينهض تعليمها، فألف كتابه (أليس الصبح بقريب)، وأودعه نظرته الإصلاحية في التعليم، وأسباب تخلف العلوم، جاعلا لكل علم بابا مستقلا يوضح فيه ذلك، والعجيب أنه قد ألف هذا الكتاب وعمره لا يتجاوز خمسا وعشرين سنة!.

ومن الآخر –أي الميدان العلمي–:

- موسوعته التفسيرية التي وقف فيها موقف الحكم بين طوائف المفسرين، وثار فيها على إفراط الناس في الأخذ بالمنقول ولو كان ضعيفا وتفريطهم في المعقول ولو كان سليما، وأن المنهج القويم يقتضي الأخذ بالنقل الصحيح والمنتج العقل الصريح، وهو تفسيره (التحرير والتنوير).

- إبداعه في مجال الفقه الإسلامي -كونه من كبار فقهاء المالكية في عصره- وتطويره لأدوات الاجتهاد وإحياء البحث المقاصدي، والانتقال من الجزئيات إلى الكليات، وذلك من خلال كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية).

مؤلفاته وآثاره: وأما بالنسبة لمؤلفاته -غير ما ذكرنا- فهي كثيرة جدا أشرفت على الخمسين مؤلفا-على غير عادة المغاربة- في علوم متنوعة كثيرة، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المصنفات المطبوعة: ومنها:

- حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح على شرح تنقيح الفصول في علم الأصول.
- كشف المغطى من معاني الألفاظ الواقعة في الموطأ.
- أصول الإنشاء والخطابة.
- موجز البلاغة.
- النظام الاجتماعي في الإسلام.
- نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم.
- وله مؤلف في التفسير غير موسوعته التحرير والتنوير طبع مؤخرا بدار الإمام ابن عرفة بعناية نزار حمادي، واسمه:(تفسير سورة الفاتحة وجزء عم).

الثاني: التحقيقات: وأهمها:

- ديوان بشار بن برد.
- ديوان النابغة الذبياني.
- الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني.
- سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي.

الثالث: التراث المخطوط: وهو ما لم يخرج إلى النور بعد، ونذكر منه:

- أمالٍ على دلائل الإعجاز للجرجاني أو الإيجاز على دلائل الإعجاز.
- أمالٍ على مختصر خليل.

- تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي.
- شرح معلقة امرئ القيس..، وغيرها، عجل الله بتحقيقها وطبعها.

وأما آثاره البشرية -تلاميذه-: فيكفيه شرفا أنه شيخ للعلامة الرباني المجاهد عبد الحميد بن باديس، وللعلامة المحقق محمد الفاضل بن عاشور، ومحمد الحبيب بن الخوجة وغيرهم...، وكلهم كانت لهم آثار قوية في الواقع العلمي والعملي، وخصوصا الأول.

وفاته: توفي صاحب هذه الومضة من الترجمة ذو العقلية الفذة وشبيه السلف الأكابر -رحمه الله تعالى- يوم الأحد 13 رجب من سنة 1393 هـ/ 1973 م، بعد قرابة 97 عاما زاخرة بالجهاد والعلم والتربية والإصلاح على مستوى وطنه -تونس- والعالم الإسلامي، ولكن المفرح أن موت الربانيين هو بداية حياة ذكرهم.

أقوال العلماء فيه: وقد قال عنه الإمام الجزائري محمد البشير الإبراهيمي -وكان من المعاصرين له-:

> الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور علم من الأعلام الذين يعد التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية ، مستقل في الاستدلال لها، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذَّرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي، وتفرد بالتوسع والتجديد لفروع من العلم ضيقها المنهاج الزيتوني، وأبلاها الركود الذهني، وأنزلتها العباراتُ التقليدية دون منزلتها بمراحل فأفاض عليها هذا الإمام من روحه وأسلوبه حياة وجدة، وأشاع فيها مائية ورونقا، حتى استرجعت بعض قيمتها في النفوس، ومنزلتها في الاعتبار... هذه لمحات دالة -في الجملة- على منزلته العلمية، وخلاصتها أنه إمام في العلميات لا ينازع في إمامته أحد[1].

وحقيقة «لم يلق حقه من الاعتناء» كما قال محمد الغزالي[2].

---

[1] ابن عاشور محمد الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس، الأردن، ط 2/ 2001 م، ص 15.
[2] المصدر نفسه: ص 18.

التعريف بالمدونة (تفسير التحرير والتنوير): [1]

العنوان الأصلي الكامل للكتاب -كما ذكر صاحبه في مقدمته- هو: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» وأطلق عليه مؤلفه اختصارا اسم (التحرير والتنوير)، وقال عنه: «ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير»[2]، مكث في تأليفه قرابة أربعين سنة، وهو أكبر مؤلفاته وأوعبها لفكره ومحصوله العلمي، وهو تفسير موسوعي يجمع كثيرا من العلوم، إلا أن العلم الطاغي عليه بكثرة هو علم البلاغة بفنونه الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع)، أي: إنه تفسير بلاغي بامتياز، والكتاب له طبعات كثيرة، والمعتمدة في المذكرة هي طبعة الدار التونسية في ثلاثين جزءا والثامن منها في قسمين.

وأما بالنسبة لخصائصه ومنهجه فيه، فهو يقوم على الأسس الآتية:

- اشتمال ديباجته على عشر مقدمات.
- اعتماد نوعي التفسير: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.
- وقوفه موقف الحكم بين المفسرين واللغويين والبلاغيين والنحويين وأصحاب المعاجم والفقهاء والقراء والأدباء وطوائفهم وأقوالهم، بالنقد والرد والاستدراك والتوضيح.
- الاهتمام بأسباب النزول.

---

[1] ينظر: عبد الباقي البشير محمد سليمان: منهج الإمام ابن عاشور في التفسير من خلال كتابه التحرير والتنوير دراسة تحليلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، 2017 م، ص 27 - 31.

وينظر: إدريس محمد أبكر محمد: الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران جمعا ودراسة، 31 - 43.

وينظر: خالد محمود محمد عزام: التناسب القرآني عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة تطبيقية:(الجزء الأول والجزء الثلاثون من القرآن الكريم)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، إربد، الأردن، 2007 م، 90 - 113.

[2] ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1 ص 8-9.

- التطرق لأحداث التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية وربط أحداثها بالآيات والاستدراك على المفسرين الذين ربطوا بعض الأحداث ببعض الآيات وحقيقة الأمر أنه لا توجد علاقة بينهما.
- دراسة علم المناسبة بين الآيات وعلاقتها ببعضها البعض، بل إن هذا كان أكبر أسباب تأليفه لهذا السفر، ولهذا علاقة وطيدة بفهم التعريض؛ إذ إنه لا يفهم إلا من خلال السياق، سواء الداخلي (التناسب بين الآيات)، أو الخارجي (أسباب النزول وأحداث السيرة النبوية)، ومن المفارقات أنه لم يكن يرى تناسبا بين السور فيما بينها.
- التطرق إلى الاختلافات الفرشية بين القراءات العشرية المتواترة وآثار ذلك الدلالية والبلاغية.
- تطبيق مختلف علوم اللغة العربية في تحليله للمفردات والآيات من: تصريف ونحو واشتقاق وبيان ومعان وبديع و...
- تطبيق القواعد الأصولية وتبيين الأحكام الفقهية عند الحاجة؛ لأنها ليست المقصد الأساس من تفسيره.
- إبراز مختلف وجوه الإعجاز وخصوصا البياني منها.

وأما مصادره التي اعتمدها في تفسيره فجلها من كتب المتقدمين وأهمها: الكشاف للزمخشري وما كتب عليه من حواش وشروح كحاشية الطيبي، والتفتازاني، والقزويني، والمحرر الوجيز لابن عطية، ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرءان الكريم لأبي السعود، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وجامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، وغيرها.

وأما ما يؤخذ على الكتاب: فاستشهاده بكثير من الإسرائيليات وتوسعه في ذلك، والأمر الأخطر تأويله أحيانا وتفويضه أخرى لصفات الله عز وجل على طريقة الأشاعرة المخالفة لمنهج السلف في ذلك، والذي يقتضي إثباتها على ما هو معروف في كلام العرب من غير تعطيل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا تمثيل.

والمقصود بهذه الدراسة ليس تتبع مواضع التعريض في التفسير كله من أوله إلى آخره، وإنما مواضعه في سورة البقرة منه –بل سيقتصر على أهم المواضع من السورة فقط– والذي جاء في قرابة ثلاثة أجزاء، وبالتقريب 1192 صفحة.

الفصل الثاني:

الجانب التطبيقي

المبحث الأول:

التعريض بالمماثلة (المقايسة)

سنرى في النماذج الآتية -إن شاء الله- المواضع التي وظف فيها النوع الأول من التعريض، وهو التعريض بالمماثلة، وفيه صورة يقصد بها المتلقي فيقتدي بأهلها فتصير عاقبته كعاقبتهم، أو يجتنب طريقهم حتى لا يكون مصيره كمصيرهم -في الفعل المعين، أو في نهاية المطاف-.

النموذج الأول:

قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ}.[1]

وحتى تُفهم سياقات الآية الداخلية والخارجية أورد ابن عاشور أمرين:

الأول: تطبيق علم المناسبة على هذه الآية واستنتاج العلاقة الموجودة في ربط هذه بما قبلها، فقال: «ذَلِكَ أَنَّ الْآيَاتِ السَّابِقَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى تَحَدِّي الْبُلَغَاءِ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ النَّظْمِ سَلَكُوا فِي الْمُعَارَضَةِ طَرِيقَةَ الطَّعْنِ فِي الْمَعَانِي فَلَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ بِأَنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ سَخِيفِ الْمَعْنَى مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ كَلَامُ اللَّهِ؛ لِيَصِلُوا بِذَلِكَ إِلَى إِبْطَالِ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِإِلْقَاءِ الشَّكِّ فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَذْرِ الْخَصِيبِ فِي تَنْفِيرِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ»[2].

والثاني: ذكر سبب نزول الآية: وقد بينه -ناقلا لأثرين- بقوله:

رَوَى الْوَاحِدِيُّ فِي (أَسْبَابِ النُّزُولِ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَنْزَلَ قَوْلَهُ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ}[3]، وَقَوْلُهُ: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ

---

[1] سورة البقرة، الآية 26.

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 357 - 358.

[3] سورة الحج، الآية 73.

ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ }[1]، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: «أَرَأَيْتُمْ أَيَّ شَيْءٍ يُصْنَعُ بِهَذَا؟»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا}[2].

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ: أَنَّ اللَّهَ لَمَّا ذَكَرَ الذُّبَابَ وَالْعَنْكَبُوتَ فِي كِتَابِهِ وَضَرَبَ بِهَا الْمَثَلَ ضَحِكَ الْيَهُودُ وَقَالُوا: «مَا يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ...}[3] الْآيَةَ»[4].

فالظاهر أن أصحاب القول من الأثر الأول هم المشركون، ومن الأثر الثاني هم اليهود، وبتطبيق ما أثبته في المقدمة التاسعة نجده يختار قولا ثالثا جامعا بينهما قائلا:

وَالْوَجْهُ أَنْ نَجْمَعَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ وَنُبَيِّنَ مَا انْطَوَتَا عَلَيْهِ بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَفْزَعُونَ إِلَى يَهُودِ يَثْرِبَ فِي التَّشَاوُرِ فِي شَأْنِ نُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَتَلَقَّوْنَ مِنْهُمْ صُوَرًا مِنَ الْكَيْدِ وَالتَّشْغِيبِ فَيَكُونُ قَدْ تَظَاهَرَ الْفَرِيقَانِ عَلَى الطَّعْنِ فِي بَلَاغَةِ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِالْعَنْكَبُوتِ وَالذُّبَابِ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَمْثِيلَ الْمُنَافِقِينَ بِالَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا وَكَانَ مُعْظَمُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ هَاجَتْ أحناقهم وضاق خناقهم فاختلقوا هَذِهِ الْمَطَاعِنَ فَقَالَ كُلُّ فَرِيقٍ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ لِلرَّدِّ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ، وَوَضَحَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ»[5].

ومن قوله هذا يتبين لنا من المقصود بالتعريض الوارد في الجملة الموالية لهذه الجملة من الآية.

---

[1] سورة العنكبوت، الآية 41.

[2] سورة البقرة، الآية 26.

[3] المصدر نفسه.

[4] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 358.

[5] المصدر نفسه.

ثم قال: «وَإِنَّمَا عَبَّرَ فِي جَانب الْمُؤمِنِينَ بـ: (يَعْلَمُونَ) تَعْرِيضًا بِأَنَّ الْكَافِرِينَ إِنَّمَا قَالُوا مَا قَالُوا عِنَادًا وَمُكَابَرَةً، وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ تَمْثِيلٌ أَصَابَ الْمَحَزَّ، كَيْفَ وَهَمَ أَهْلُ اللِّسَانِ وَفُرْسَانُ الْبَيَانِ، وَلَكِنْ شَأْنُ الْمُعَانِدِ الْمُكَابِرِ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْتَقِدُ حَسَدًا وَعِنَادًا».[1]

ووجه التعريض في هذا الشاهد يكمن في تمثيل الصورة المعيارية والحقيقية التي ينبغي أن يكون عليها العبد، وهي أن العبد المؤمن حقا يعلم أن هذا القرآن كله من عند الله لا شك في ذلك أبدا، وأن وجود المواضع المشكلة على الفهم فيه ليس قصورا فيه –معاذ الله– وإنما قصور في أصحاب هذه الفهوم وفي عقولهم، فمادام الشخص يعتقد ابتداء أن القرآن كلام الله وهو من عنده سبحانه وتعالى لا يختلجه أدنى شك في حقيقته عندما يعترضه ما لا يستوعبه منه، وإنما يُرجع ذلك إلى قصور فيه هو، فكان هذا التعريض بهذه الصورة التمثيلية يقصد به الكفار –المشركون واليهود على حد سواء، بدليل ذكرهم في العبارة التي بعدها مباشرة–؛ لأنهم شاكون في الأصل في كون هذا القرآن من عند الله، فلما تجاوزوا هذه المرحلة وتيقنوا أنه تنزيل من رب العالمين جحدوا بذلك وأنكروه وإن كانت أنفسهم تستيقنه، فلما جاءهم التحدي بأن يأتوا بسورة مثله –كما في الآية السابقة لهذه الآية– عجزوا، ولم يجدوا حلا إلا أن يتصيدوا ما يبدو وكأنه منقصة لا يليق بكلام الله –في فهمهم– مثل ذكر العنكبوت والنمل والذباب فيثبتوا لضعاف القلوب والمنافقين أنه ليس من عند الله أصلا، فكيف نأتي بسورة تحديا لكتاب ليس من عند الله؟!، فجاءهم الرد الماحق أن هذا القرآن لا يأتي على ذكر العنكبوت والذباب وحسب، بل يذكر ما هو أدق من ذلك وأصغر كالبعوضة والذي فوقها، فيكون ذكر هذا أشد تعجيزا لهم ودليلا لكونه من عند الله لا العكس.

وحجاجية التعريض في هذا الموضع تتمثل في ذم المشركين واليهود وتبيين جهلهم وسفاهة عقولهم، ومن جهة أخرى استدراجهم إلى الإذعان والتسليم، حتى لا يكون لإنكارهم أية حجة ولا دليل، فإن هم عارضوا الحق فليس لهم أي عذر مقنع في سلوك تلك السبيل.

---

[1] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 364.

وفي تعبيره الصريح مدح للمؤمنين، وتنويه بمكانتهم وفضلهم، والخاصية التي جعلت لهم مكانة عند الله؛ وهي يقينهم التام المنافي للشك بكون القرآن كلام الله تعالى.

والآلية الحجاجية الموظفة في هذا التعريض التمثيلي آلية منطقية؛ وذلك لاحتواء تركيبه على روابط حجاجية (الفاء، أما، الاسم الموصول، الفاء، أن) وعوامل حجاجية كالوصل.

واستخراج تعريض من هذه الآية مما تفرد به ابن عاشور عن غيره من كتب التفسير، وهو أول من قال بذلك.

وعند مقارنة التفاسير -التي اعتمدناها- في هذا الموضع نجد أن ابن عاشور تفرد في استخراجه للتعريض من هذا الموضع، ولم يسبقه إليه أحد، وإن وجد فلم يسمه أهو مماثلة أم ملازمة؟.

النموذج الثاني: وهو في قوله تعالى: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١}[1].

وهذا الشاهد قد عولج في الفصل الثاني لاشتماله على تعريض بالملازمة، وفي محله مزيد تفصيل أكثر مما هو عليه هنا، ولكنه يحتوي أيضا تعريضا بالمماثلة، وهو القول الثاني من أصل الخمسة التي ذكرها ابن عاشور ، حيث قال فيه: «الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ التَّعْرِيضَ بِالْمُشْرِكِينَ وَأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَ الْيَهُودِ كُفْرًا، أَيْ: لَا تَكُونُوا فِي عِدَادِهِمْ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مُرَادُ صَاحِبِ (الْكَشَّافِ) مِنْ قَوْلِهِ: «وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ أَوَّلِ كَافِرٍ بِهِ يَعْنِي مَنْ أَشْرَكَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ»، وَلَا يُرِيدُ أَنَّهُ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ وَإِنْ كَانَ كَلَامُهُ يُوهِمُهُ وَسَكَتَ عَنْهُ شُرَّاحُهُ»[2].

وقوله هذا يدل على: محل الشاهد فيه تعريض بالمماثلة، وذلك قاصد به المشركين أي كفار مكة، لأنهم كانوا أول من كفر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن الذي أنزل عليه، وبالدين الذي جاء به ككل، وأما اليهود فلم يبلغهم أمره إلا بعدما انتشر وذاع، فكان الخطاب موجها إليهم بالتصريح لئلا يكونوا مسارعين في الكفر ككفار مكة ولا متأخرين فيه؛ لأنهم أحق بالإسلام من كفار مكة الذين لم ينزل إليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي، وإن كانوا كلهم كفار، فكفر بني إسرائيل عن معاينة ومعرفة أشد كفرا من كفر أهل مكة الناشئ عن الجهل والاستكبار والكبر والتعنت، أما حجاجية هذا التعريض وأثره البلاغي فتمثلا في: ذم مشركي مكة لمسارعتهم في الكفر دون تبين ولا إنصاف في المواجهة والمحاجحة، ومن باب أولى ذم كفار بني إسرائيل لأنهم أهل كتاب، فكيف يكفرون بكتاب مصدق لما في كتابهم –أي غير المحرف–؟!، ومن جهة أخرى حث لبني إسرائيل على المسارعة في الدخول في الإسلام واتباع شريعته ونهجه دون تأخر أو تماطل.

---

[1] سورة البقرة، الآية 40-41.

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 461.

والآلية الحجاجية الموظفة في هذا التعريض آلية حجاجية لسانية، وتمثل ذلك في استخدام النهي واستعمال اسم التفضيل (أول).

ومن قول ابن عاشور يتبين أيضا أن ذكر الزمخشري لهذا التخريج يرى أنه أقل احتمالا في الورود والمطابقة، ولذلك لم يتابعه أغلب من نقل عنه التعريض بالملازمة، ولسبب آخر هو: ظنهم أنه يقصد أن محل الشاهد -على المعنى الثاني- تشبيه بليغ لا تعريض بالمماثلة، لذلك استدرك عليهم ابن عاشور باعتباره القول الثاني أقوى في الاحتمال وآكد في الدلالة، معتمدا على ما قاله الزمخشري: «ويجوز أن يراد: ولا تكونوا مثل أول كافر به، يعنى من أشرك به من أهل مكة، أي: ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا، مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له»[1]، ومنه نستنتج أن ابن عاشور كان أدق المفسرين المتتبعين لكلام الزمخشري وأعرفهم بمقصوده، وإن كان متأخرا عنهم في الزمن.

[1] الزمخشري: الكشاف، ج 1، ص 131.

النموذج الثالث: في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾}[1]

قال ابن عاشور عن العقوبات المذكورة في الشاهد إنها كلها تعقيب من الله سبحانه وتعالى وليست: «مِنْ بَقِيَّةِ جَوَابِ مُوسَى إِيَّاهُمْ؛ لِمَا عَلِمْتَ مِنْ شُمُولِهِ لِلْمُتَحَدَّثِ عَنْهُمُ الْآبِينَ دُخُولَ الْقَرْيَةِ وَلِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ أَتَى بَعْدَهُمْ، فَقَدْ جَاءَ ضَمِيرُ الْغَيْبَةِ عَلَى أَصْلِهِ، أَمَّا شُمُولُهُ لِلْمُخَاطَبِينَ فَإِنَّمَا هُوَ بِطَرِيقَةِ التَّعْرِيضِ وَهُوَ لُزُومُ تَوَارُثِ الْأَبْنَاءِ أَخْلَاقَ الْآبَاءِ وَشَمَائِلَهُمْ كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي وَجْهِ الْخِطَابَاتِ الْمَاضِيَةِ مِنْ قَوْلِهِ: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ...}[2] الْآيَاتِ، وَيُؤَيِّدُهُ التَّعْلِيلُ الْآتِي بِقَوْلِهِ: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ...}[3] الْمُشْعِرِ بِأَنَّ كُلَّ مَنِ اتَّصَفَ بِذَلِكَ فَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَثْبُتَ لَهُ مِنَ الْحُكْمِ مِثْلُ مَا ثَبَتَ لِلْآخَرِ»[4].

وبداية الأمر –ويدخل ضمن السياق الداخلي- أن بني إسرائيل أصحاب مخازٍ وخيانات كثيرة متوالية، ولكن بالمقابل يفيض الله عليهم من عفوه ورحمته ونعمه الجزيلة؛ فبعدما كانوا مستعبدين لدى فرعون المتمادي بتعذيبهم كل الحدود من قتل لأولادهم واستحياء لنسائهم: أنجاهم الله عز وجل من الغرق وأهلك فرعون أمام نواظرهم، وجاوز بهم البحر، ثم لما ذهب موسى للقاء ربه –كجزاء على إنقاذهم

---

[1] سورة البقرة، الآية 61.
[2] سورة البقرة، الآية 50.
[3] المصدر السابق.
[4] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 527.

وإهلاك عدوهم- اتخذوا العجل آلهة من دون الله سبحانه وتعالى!، ولكن عطاء الله أعظم، فعفا عنهم بعد ذلك الكفر الشنيع الذي لا يصدر إلا من نفوس وضيعة خسيسة لعلهم يشكرونه سبحانه وتعالى، وآتى موسى كتابا وفرقانا ليهتدوا به ويجعلوه دستور حياتهم، فما كان منهم إلا أن واجهوا موسى بأنهم لن يؤمنوا له ما داموا لم يروا الله جهرة بأعينهم!، فأرسل الله عليهم صاعقة أخذتهم وهم ينظرون علهم يتوبون ويستغفرون، ثم بعثهم الله من بعد هذا الموت بالصعق، وجعل السحاب مظلا لهم يقيهم حر الشمس، وأنزل عليهم المن والسلوى طعاما من الجنة لعلهم يتوجهون إليه بالشكر والحمد، ثم لما أمرهم أن يدخلوا الباب سجدا وقائلين لكلمة (حطة) ليغفر لهم خطاياهم: بدل الظالمون منهم هذه الكلمة ولم يدخلوا ساجدين كما أمروا!، فكان العقاب الحقيق بهم أن ينزل عليهم الرجز من السماء لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه، وفي مقام آخر تتوالى طباعهم الفاسدة وقلوبهم المسودة في الإفساد والتخريب؛ فأعلنوا لموسى عليه السلام أنهم ملوا من أكل طعام واحد –الذي هو خير طعام عطاهم الله إُياه، وفوق ذلك لا يتعنون في تحصيله- فأمروه أن يكلم الله لهم في هذا الشأن ليخرج لهم ما ألفوا أكله قبلُ، وليبذلوا الجهد في تحصيله!، فتركوا طعاما طيبا وراحة إلى طعام أقل شأنا وأكثر تعبا في تحصيله، فمن أجل هذا ضرب الله عليهم الذل والصغار، وضرب عليهم المسكنة والقلة ودفع الجزية، وانقلبوا بغضب من الله عليهم وسخط، لأنهم في الأصل ليسوا إلا كفارا بآيات الله وقتالين لأنبيائهم كيحيى وزكرياء عليهما السلام، فليس هذا إلا جزاء لعصيانهم وتمردهم على أمر الله، واعتدائهم على ما ليس الحق فيه.

وكل ما ذكر سابقا يلخص وجه التعريض بالمتلقين لهذا الخطاب قراء كانوا أو مستمعين أن بني إسرائيل لما عدلوا عن الفاضل إلى المفضول، وقتلوا رسل الله وخالفوا أوامرهم، كان جزاؤهم أن تسلط عليهم الذلة والمسكنة والغضب الرباني، فكأن هذا الذكر والتمثيل لبني إسرائيل لا يقصد به بنو إسرائيل المذكورين في القصة؛ بل كل من يشاركهم في أفعالهم المذكورة أو تسول له نفسه أن يشاركهم، لأنه سيكون حكمه كحكمهم وجزاؤه كجزائهم، فالغرض البلاغي وراء هذا التعريض بالمماثلة والحجاجيةُ يكمنان في ترهيب المتلقي وتحذيره لئلا يسلك مسلكهم فتكون عاقبته كعاقبتهم، وأيضا

الحط من قيمة بني إسرائيل وتبيين سفالتهم ووضاعتهم، والدعوة إلى التفكر في حالهم؛ فالذي أعطي له بعض ما أعطي لبني إسرائيل من نعم لا يحق له أن يفعل ما فعلوا، فكيف بكل ما أعطوه ؟!.

والآلية الحجاجية الموظفة في هذا التعريض التمثيلي آلية حجاجية منطقية، لاحتواء تركيبه على بنى استدلالية وعوامل وروابط حجاجية (التعليل: ذلك بأنهم كانوا، ذلك بما عصوا، والترتيب المنطقي للأفكار والأحداث، و...).

والقول بالتعريض في هذا الشاهد لم يقل به أحد فيما رجعنا إليه من تفاسير، فيعد ابن عاشور أول من قال به.

النموذجين الرابع والخامس: في قوله تعالى:{أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾}[1]، وقوله تعالى:{أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾}[2]

قال ابن عاشور:

> جُمْلَةُ {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ}: اسْتِئْنَافٌ ثَانٍ من جُمْلَةِ {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ}، سِيقَ مَسَاقَ الِاسْتِدْلَالِ لِجُمْلَةِ {وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾}[3]، وَفِيهَا زِيَادَةُ تَأْكِيدٍ لِفَظَاعَةِ حَالِ التَّقَاعُسِ عَنِ الْقِتَالِ بعد التهيؤ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالتَّكْرِيرُ فِي مِثْلِهِ يُفِيدُ مَزِيدَ تَحْذِيرٍ وَتَعْرِيضٍ بِالتَّوْبِيخِ، فَإِنَّ الْمَأْمُورِينَ بِالْجِهَادِ فِي قَوْلِهِ: {وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} لَا يَخْلُوْنَ مَنْ نَفَرٍ تَعْتَرِيهِمْ هَوَاجِسُ تُثَبِّطُهُمْ عَنِ الْقِتَالِ حُبًّا لِلْحَيَاةِ، وَمِنْ نَفَرٍ تَعْتَرِضُهُمْ خَوَاطِرُ تُهَوِّنُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ أَكْدَارِ الْحَيَاةِ، وَمَصَائِبِ الْمَذَلَّةِ، فَضَرَبَ اللَّهُ لِهَذَيْنِ الْحَالَيْنِ مَثَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

---

[1] سورة البقرة: الآية: 243.

[2] سورة البقرة، الآية 246.

[3] سورة البقرة، الآية 190.

خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ}، وَالثَّانِي قَوْلُهُ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ}، وَقَدْ قَدَّمَ أَحَدَهُمَا وَأَخَّرَ الْآخَرَ لِيَقَعَ التَّحْرِيضُ عَلَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمَا.

وَمُنَاسَبَةُ تَقْدِيمِ الْأُولَى أَنَّهَا تُشَنِّعُ حَالَ الَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا وَاسْتَضْعَفُوا أَنْفُسَهُمْ، فَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ مَعَ كَثْرَتِهِمْ، وَهَذِهِ الْحَالَةُ أَنْسَبُ بِأَنْ تُقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ وَالدِّفَاعِ عَنِ الْبَيْضَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِذَلِكَ بَعْدَهَا يَقَعُ مَوْقِعَ الْقَبُولِ مِنَ السَّامِعِينَ لَا مَحَالَةَ، وَمُنَاسَبَةُ تَأْخِيرِ الثَّانِيَةِ أَنَّهَا تَمْثِيلُ حَالِ الَّذِينَ عَرَفُوا فَائِدَةَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِقَوْلِهِمْ: {وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ...}إِلَخْ. فَسَأَلُوهُ دُونَ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا عُيِّنَ لَهُمُ الْقِتَالُ نَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمَوْضِعُ الْعِبْرَةِ هُوَ التَّحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ بَعْدَ الشُّرُوعِ فِي الْقِتَالِ أَوْ بَعْدَ كُتُبِهِ عَلَيْهِمْ، فَلِلَّهِ بَلَاغَةُ هَذَا الْكَلَامِ، وَبَرَاعَةُ هَذَا الْأُسْلُوبِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا[1].

وسنعالج النموذجين مجتمعين لاتصالهما ووجود علاقة بينهما؛ إذ إنهما –حسب قول ابن عاشور أعلاه– عبارة عن دليلين مذكورين للآية 190 من سورة البقرة وتمثيل لها، ووجه كونهما تعريضين بالمماثلة هو أن الآية الأولى تتحدث عن قوم خرجوا فرارا من الطاعون إلى أرض ليس بها موت، فلما بلغوا موضعا من المواضع أتاهم أمر من الله تعالى أن يموتوا فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا الله أن يحييهم حتى يعبدوه ويوحدوه سبحانه وتعالى فأحياهم[2]، والغاية من هذا الإحياء لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يفروا من الموت إلى الحياة لأن ضمان الحياة ليس إليهم، بل عليهم أن يفروا إلى الله ويتوكلوا عليه ويأخذوا بالأسباب الصحيحة، وهذا النوع الأول الذي ذكره ابن عاشور، ومثل له بأنهم صنف تَعْتَرِيهِمْ هَوَاجِسُ تُثَبِّطُهُمْ عَنِ الْقِتَالِ حُبًّا لِلْحَيَاةِ.

وباعتبار المخاطبين فالتعريض بهم بتمثيل هذه الصورة عن القوم الذين خرجوا، ليكونوا مستبصرين بحقيقة الموت والحياة، وراشدين في الاعتبار بها، والغرض الحقيقي هو تشجيعهم على الجهاد في سبيل الله تعالى.[3]

---

[1] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 484.

[2] محمد سليمان عبد الله الأشقر: زبدة التفسير بهامش مصحف المدينة المنورة، دار النفائس، الأردن، ط 1/ 2013 م، ص 39.

[3] ينظر: المصدر نفسه.

وأما بالنسبة للقصة الثانية، فهي مثل القصة الأولى فقد ذكرها الله سبحانه وتتعالى للتحريض على القتال؛ وذلك أن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام تسلط عليهم الجبابرة وقد كان عهد بني إسرائيل بالملك والسيطرة بعيدا فطلبوا من نبي كان عندهم أن يرسل إليهم ملكا يرجعون إليه ويأتمروا بأمره[1]، فحذرهم هذا النبي من الارتداد عن أمرهم هذا إن هو كتب عليهم، فتعللوا لكونهم لن يتراجعوا بأنهم أخرجوا من ديارهم وأبعدوا عن أبنائهم، ولما فرض عليهم لقتال ارتد أكثرهم على أمرهم الأول ولم يثبن إلا قلي منهم، وسمى الله المتولين بأنهم ظالمين، وهذه القلة الثابتة تمثل الصنف الثاني الذي ذكره ابن عاشور وقال إنه: نَفَر تَعْتَرِضُهُمْ خَوَاطِرُ تُهَوِّنُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ أَكْدَارِ الْحَيَاةِ، وَمَصَائِبِ الْمَذَلَّةِ، وهذا تعريض بالمخاطبين من خلال التمثيل لهم بهذه القصة حتى لا يكونوا ظالمين مثل الذين ارتدوا على أدبارهم بعدما قالوا إنهم لن يتراجعوا.

والغرض البلاغي للتعريض والحجاجية فيه في الآية الأولى يتمثلان في التشنيع على المستكينين والمستضعفين والذين يرون أنفسهم بأعين النقص فخرجوا من ديارهم رغم أنهم ألوف في عددهم، وبالنسبة للآية الثانية فحجاجية تعريضها تتمثل في ذم الذين لا يعلمون بعلمهم، فالقوم يعرفون قيمة الجهاد، وذلك واضح من حججهم، لكن لما كتب عليهم انتكسوا وانقلبوا، وتحذير من النكوص عن الحق بعد معرفته.

وبالجمع بينهما فحجاجيتهما معا تتمثل في التشجيع على القتال في سبيل الله وعدم الالتفات للعدد، فالطائفة الأولى كثيرة العدد ولم تثبت، والثانية قلة قليلة لكنها ثبتت، وفي كليهما تعريض بالمخاطبين المتلقين لهذا الوحي فيعتبروا بمن مضى.

والآلية الحجاجية الموظفة في سياق هذين الآيتين آلية حجاجية منطقية، وهي التقديم والتأخير، وتمثلت في ترتيب الحجتين، بتقديم واحدة وتأخير أخرى، لتكون أمكن في الاستدلال وأقوى في الإقناع، فالتشنيع على جبن الكثرة مقدم على تزكية ثبات القلة.

وبمقارنة أقوال المفسرين عن التعريض في هذا الشاهد نجد أن ابن عاشور تفرد بالقول بالتعريض في الآية الثانية، أما في الأولى فنجد البقاعي يقول: «{وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

[1] المصدر نفسه، ص 40.

يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾}، وذلك تعريض ببني إسرائيل في أنهم لم يشكروه سبحانه وتعالى في الوفاء بمعاهدته لهم في اتباع هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام»[1]، وهذا تعريض بالملازمة لا بالمماثلة، بالتالي اختلفت الرؤيتان.

[1] البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د/ ط- ت)، ج 3، ص 396.

المبحث الثاني:

التعريض بالملازمة (الاقتضاء)

أما في هذا المبحث فسنرى في النماذج المحتواة فيه -إن شاء الله- المواضع التي وظف فيها النوع الثاني من التعريض، وهو التعريض بالملازمة، وفيه إطلاق تركيب يحتوي معنى يستلزم معنى آخر بشرط عدم وجود مماثلة أو مقايسة.

النموذج الأول: والشاهد في مفتتح السورة عند قوله تعالى:{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾}[1].

قال ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية:

وَالْمُرَادُ بِالْغَيْبِ مَا لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ مِمَّا أَخْبَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرِيحًا بِأَنَّهُ وَاقِعٌ أَوْ سَيَقَعُ مِثْلَ وُجُودِ اللَّهِ، وَصِفَاتِهِ، وَوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ، وَالشَّيَاطِينِ، وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَمَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ.

فَإِنْ فُسِّرَ الْغَيْبُ بِالْمَصْدَرِ أَيِ: الْغَيْبَةِ، كَانَتِ الْبَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ ظَرْفًا مُسْتَقِرًّا، فَالْوَصْفُ تَعْرِيضٌ بِالْمُنَافِقِينَ.

وَإِنْ فُسِّرَ الْغَيْبُ بِالِاسْمِ وَهُوَ مَا غَابَ عَنِ الْحِسِّ مِنَ الْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، كَانَتِ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةً بِـ: يُؤْمِنُونَ، فَالْمَعْنَى حِينَئِذٍ: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ مِنْ غَيْرِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ كَالْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْبَعْثِ وَالرُّوحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ الْإِيمَانِ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ عَوَالِمِ الْغَيْبِ: كَانَ الْوَصْفُ تَعْرِيضًا بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ

[1] سورة البقرة: الآية 2.

أَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَقَالُوا: {هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾}[1].

فَجَمَعَ هَذَا الْوَصْفُ: بِالصَّرَاحَةِ ثَنَاءً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَبِالتَّعْرِيضِ: ذَمًّا لِلْمُشْرِكِينَ بِعَدَمِ الِاهْتِدَاءِ بِالْكِتَابِ، وَذَمًّا لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالظَّاهِرِ وَهُمْ مُبْطِنُونَ الْكُفْرَ»[2].

ووجه التعريض من محصول كلامه أنه إذا أريد بالغيب:

1- الغيب الذي هو عالم مقابل لعالم الشهادة، فإن المعرض بهم هم المشركون -وعلى رأسهم كفار أهل الكتاب-؛ لأنهم هم من لا يؤمنون بالغيب، ولا يقومون بالأفعال المذكورة بعده في الآية من باب أولى.

2- الغيب الذي هو مقابل للحضور، فإن المعرض بهم هم المنافقون، لأن المنافقين هم الذين يظهرون الإيمان عند حضورهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم يكفرون عند تواريهم عن أعينهم وغيابهم عنها.

وفي التمثيل لهم بهذه الصورة للمؤمنين وأفعالهم في الدنيا وأنهم على هدى، وفي الآخرة بجزائهم أنهم هم المفلحون أثر بلاغي للتعريض هو الذم والتحقير للطائفتين ولأفعالهما، والاستهزاء بهما، وأن كل ما يناله المؤمنون في الآخرة من جزاء وخير عظيم في جنات النعيم لن يكون لهما منه شيء، بل بخلافه وهو: العذاب العظيم للكفار، والعذاب الأليم للمنافقين والإهانة لهم على رؤوس الأشهاد، وهناك تعظم حسرتهم وندامتهم، وفيه أيضا إغاضة لهم عندما يسمعون هذه الآيات أو يقرؤونها.

وعلى القاعدة التي يقرها علماء التفسير وعلوم القرآن أنه إذا حَمَل الملفوظُ -كلمة كان أو تركيبا- أكثرَ من دلالة في نفس الوقت والسياق، ولم يكن بين أوجه هذه الدلالة تناقض حمل عليها جميعا[3]،

[1] سورة سبأ: الآية 7.

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 229 و 230.

[3] وذكره أيضا ابن عاشور في المقدمة التاسعة من أصل العشر التي دبج بها كتابه هذا.

وبتطبيقها على هذا النموذج يتضح لنا أن المذكورين في هذه الآية ثلاثة طوائف: طائفة مصرح بذكرها هي طائفة المتقين، وطائفتان معرض بهما هما: طائفة الكفار، وطائفة المنافقين.

والعجيب أن الطوائف ثلاثتَها مذكورةٌ أوصافُها بالتفصيل في مقدمة هذه السورة، فكأن قوله تعالى: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾}[1] هو عنوان عام مجمل، فيه تسمية للمتقين وتكنية لغير المتقين –الشاملة للكافرين والمنافقين–، وتفاصيل هذا العنوان تأتي لاحقة له في الآيات الموالية، فكان الجمع من جهتين: من جهة التعبير –كما ذكرنا–، ومن جهة الواقع؛ فالطوائف الثلاثة المذكورة لا يخرج عن إحداها أي إنسان:

فذكرُ المتقين في قوله تعالى المذكور أولا –الشاهد–.

وذكر الكافرين في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾}[2].

وذكر المنافقين –وهو الأطول– من قوله تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾} إلى قوله تعالى: {صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾}[3].

وعند مقارنة أقوال أشهر المفسرين في التعريض الموجود في هذا المحل من الشاهد يتضح أن ابن عاشور تفرد بهذا التخريج ولم يسبقه إليه أحد، وأن المفسرين الذين قالوا بوجود تعريض في الشاهد لم يكن

---

[1] سورة البقرة: الآية 2.

[2] سورة البقرة: الآيات 6 و 7.

[3] سورة البقرة: من الآية 8 إلى 14.

محل الشاهد عندهم هو هذا، بل كان في قوله تعالى: {وَبِٱلْأَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾} وفيه تعريض بالملازمة أيضا، وسنتطرق لمعالجة هذا الشاهد لاحقا -إن شاء الله-.

وحجاجية التعريض تتمثل في: الإكرام للمتقين، وفي الإهانة للكافرين والمنافقين على حد سواء، ولذلك يعد أقوى في الدلالة من التصريح أو الكناية أو المجاز أو الاستعارة في هذا المقام -مقام أول السورة ومفتتح القرآن-؛ إذ لا تتناسب الموضوعات المرهبة مع مفتتح أعظم كتاب، فكان العدول إلى التعريض أبلغ وآكد في الدلالة من غيره من الأساليب. وفيه من جهة أخرى تسلية للمؤمنين ودفع لهم إلى الإخلاص والزيادة في العمل الصالح -خصوصا المذكور- والطمع في ذلك الجزاء العظيم الذي لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر.

ومن جهة أخرى -أيضا- فيه:

دعوة للكافرين إلى الإسلام بترغيبهم بالأجر المصرح به للمؤمنين، وترهيبهم بالتعريض بهم بأنه لن يكون لهم منه نصيب، وبالتصريح لهم مرة أخرى أن لهم عذابا عظيما إن بقوا على كفرهم.

ودعوة للمنافقين إلى التوبة من نفاقهم، ترغيبا لهم بذكر جزاء المؤمنين صراحة، وترهيبا لهم بذكر عذاب الكافرين الذين يركنون إليهم، وذكر عذابهم الخاص بهم وأنه عذاب أليم.

والآلية الحجاجية الموظفة في هذا التعريض التلازمي هي الوصف وهو آلية حجاجية لسانية.

النموذج الثاني: والشاهد في قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤}[1].

قال ابن عاشور عن الشاهد إن فيه:

تَقْدِيمٌ لِلْمَجْرُورِ الَّذِي هُوَ مَعْمُولُ يُوقِنُونَ عَلَى عَامِلِهِ، وَهُوَ تَقْدِيمٌ لِمُجَرَّدِ الِاهْتِمَامِ مَعَ رِعَايَةِ الْفَاصِلَةِ، وَأَرَى أَنَّ فِي هَذَا التَّقْدِيمِ ثَنَاءً عَلَى هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُمْ أَيْقَنُوا بِأَهَمِّ مَا يُوقِنُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فَلَيْسَ التَّقْدِيمُ بِمُفِيدٍ حَصْرًا إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ مَعْنَى الْحَصْرِ هُنَا بِأَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُوقِنُونَ بِالْآخِرَةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَقَدْ تَكَلَّفَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» وَشَارِحُوهُ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ مِنْ هَذَا التَّقْدِيمِ وَيَخْرُجُ الْحَصْرُ عَنْ تَعَلُّقِهِ بِذَاتِ الْمَحْصُورِ فِيهِ إِلَى تَعَلُّقِهِ بِأَحْوَالِهِ وَهَذَا غَيْرُ مَعْهُودٍ فِي الْحَصْرِ...وجِيءَ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مُقَدَّمًا عَلَى الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ لِإِفَادَةِ تَقْوِيَةِ الْخَبَرِ؛ إِذْ هُوَ إِيقَانٌ ثَابِتٌ عِنْدَهُمْ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْإِجْمَالِ، وَإِنْ كَانَتِ التَّوْرَاةُ خَالِيَةً عَنْ تَفْصِيلِهِ؛ وَالْإِنْجِيلُ أَشَارَ إِلَى حَيَاةِ الرُّوحِ، وَتَعَرَّضَ كِتَابَا حِزْقِيَالَ وَأَشْعِيَاءَ لِذِكْرِهِ، وَفِي كِلَا التَّقْدِيمَيْنِ تَعْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ الدَّهْرِيِّينَ وَنِدَاءٌ عَلَى انْحِطَاطِ عَقِيدَتِهِمْ[2].

وخلاصة كلامه:

- يفترض في التركيب -نحويا- أن يكون: (يوقنون هم بالآخرة)، فحصل تقديمان:

الأول تقديم المعمولِ الجارِّ والمجرور على الفعل العامل لغرض الاهتمام ومناسبة الفاصلة القرآنية (ونَ ۝) أو (ينَ ۝).

والثاني تقديم المسندِ إليه الضميرِ المنفصل على المسندِ الفعلِ، لغرض تأكيد الخبر؛ فالجملة الاسمية تدل على الثبات والاستقرار بخلاف الفعلية التي تدل على الحركية والتغير.

---

[1] سورة البقرة: الآية 4.

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1 ص 240-241.

- وجه التعريض بالملازمة في الشاهد: أن المشركين هم المقصودون بهذا التعريض، والطائفة المخصوصة من مجموع المشركين هم طائفة الدهريين، فالاهتمام بأمر الآخرة وتقديمه أفاد مدحا للمؤمنين على شيء خاص يتميزون به عن غيرهم هو الإيمان باليوم الآخر زيادة على الإيمان بالكتب السماوية المنزلة قبل القرآن الكريم، وفيه في الوقت نفسه -وهو الغرض من هذا التعريض بالتلازم- ذم للدهريين الذين لا يؤمنون بذلك وإن كانوا مؤمنين بالكتب المنزلة بوجه من الوجوه، فالتعبير واحد، ولكنه أفاد أمرين متناقضين المدح والذم.

وعند مقارنة قول ابن عاشور في هذا الموضع مع أقوال غيره من المفسرين نجد أنهم يتفقون على محل الشاهد، ولكنهم يختلفون في أمرين:

- الأول: الطرف المعرض به: فجلهم على أن المعرض بهم هم أهل الكتاب، قال ابن جرير الطبري:

> عن ابن عباس: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾[1]﴾: أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، أي، لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك، ويكفرون بما جاءك من ربك، وهذا التأويل من ابن عباس قد صرح عن أن السورة من أولها -وإن كانت الآيات التي في أولها من نعت المؤمنين- تعريض من الله عز وجل بذم كفار أهل الكتاب، الذين زعموا أنهم -بما جاءت به رسل الله عز وجل الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه- مصدقون، وهم بمحمد صلى الله عليه مكذبون، ولما جاء به من التنزيل جاحدون، ويدّعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، فأكذب الله جل ثناؤه ذلك من قيلهم بقوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

[1] سورة البقرة: الآية 4.

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾[1] }.[2]

وهذا القول هو أيضا ما رآه الزمخشري –وعبر عنه بقوله: «وفي تقديم (بِالْآخِرَةِ) وبناء (يُوقِنُونَ) على: (هُمْ) تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأنّ قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك»[3]–، والبيضاوي[4]، وأبو السعود[5]، والقاسمي[6]، إلا أن ابن عاشور يرى أن المعرض بهم هم المشركين، وهذا من تفرداته وإبداعاته.

– والثاني: الغرض من تقديم الآخرة على عاملها (يوقنون)، قال الزمخشري إن الغرض من التقديم هو التخصيص كما أوضح ذلك الطيبي[7]، ولكن ابن عاشور خالفه وقال عن ذلك إنه تكلفٌ من الزمخشري ومن الذين ذهبوا مذهبه، وأقر أن الغرض من ذلك هو مجرد الاهتمام ومراعاة الفاصلة.

وتكمن حجاجية التعريض في هذا الشاهد في: إعطاء مزيد الاهتمام بقضية الإيقان بالآخرة وأنها من الفوارق بين المؤمنين والمشركين، وذلك بتوظيف ثلاثة آليات حجاجية هي:

1- الاهتمام بأمر اليوم الآخر في شكل تقديم للجار والمجرور على عامله.

[1] سورة البقرة، من الآية 1 – 5.

[2] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 1، ص 246.

[3] الزمخشري: الكشاف، ج 1 ص 157.

[4] البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، لبنان، ط 1/ 1418 هـ، ج 1 ص 40.

[5] أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، (د/ط–ت)، ج 1، ص 33.

[6] القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، ط 2/ 2003 م، ج 1 ص 245.

[7] الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج 2، ص 100 – 101.

2- تقوية الحكم وتأكيد المعنى بالعدول عن التركيب بالجملة الفعلية إلى الاسمية.

3- مراعاة الفاصلة القرآنية، وتشكيل سجع متناسب مع المقطع، مما يجعل المتلقي يستمتع بجزالة اللفظ وجلالة المعنى في شكل نظم معجز.

وثلاثتها تشكل آليات حجاجية بلاغية، ولسانية وظفت في أسلوب التعريض في هذا المقام.

النموذج الثالث: وذلك في قوله تعالى: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١}[1].

تنبيه[2]: إذا كانت تعود على (ما معكم) أي على التوراة؛ فإن الآية ليس فيها تعريض، بل تصريح،

أما إن كانت الهاء في (به) تعود على (ما أنزلت) أي على القرآن الكريم؛ فإن في الآية بهذا الاعتبار خمسة أقوال متباينة –سنقتصر على اثنين منها فقط– ذكرها ابن عاشور في هذا المقام مفادها:

الأول: تعريض بالملازمة –ببني إسرائيل– يقتضي أمرين:

1- توبيخهم على التأخر في اتباع دعوة الإسلام.

2- دعوتهم إلى المسارعة في الدخول إلى الإسلام.

وهو محور هذا النموذج.

الثاني: تعريض بالمماثلة –بالمشركين– بأنهم أشد كفرا من اليهود، كأنه يقول لهم: لا تكونوا كالمشركين، وهذا المعنى نوقش في المبحث الأول لوحده.

عبر ابن عاشور عن القول الأول بقوله:

وَالْمَقْصُودُ مِنَ النَّهْيِ تَوْبِيخُهُمْ عَلَى تَأَخُّرِهِمْ فِي اتِّبَاعِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونُ هَذَا الْمُرَكَّبُ قَدْ كُنِّيَ بِهِ عَنْ مَعْنَيَيْنِ مِنْ مَلْزُومَاتِهِ، هُمَا مَعْنَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمَعْنَى التَّوْبِيخِ الْمُكَنَّى عَنْهُ بِالنَّهْيِ، فَيَكُونُ مَعْنَى النَّهْيِ مُرَادًا وَلَازِمُهُ وَهُوَ الْأَمْرُ بِالْمُبَادَرَةِ بِالْإِيمَانِ مُرَادًا وَهُوَ الْمَقْصُودُ فَيَكُونُ الْكَلَامُ كِنَايَةً اجْتَمَعَ فِيهَا الْمَلْزُومُ وَاللَّازِمُ مَعًا، فَبِاعْتِبَارِ اللَّازِمِ

[1] سورة البقرة: الآية 40 – 41.

[2] ينظر: سبع بلمرسلي: التعريض بالملازمة في تفسير الزمخشري (الكشاف)، مجلة فص الخطاب، جامعة ابن خلدون – تيارت، الجزائر، جوان 2021، ص 55.

يَكُونُ النَّهْيُ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ فَيَتَأَكَّدُ بِهِ الْأَمْرُ الَّذِي قَبْلَهُ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ وَكُونُوا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ، وَباعْتِبَارِ الْمَلْزُومِ يَكُونُ نَهْيًا عَنِ الْكُفْرِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ غَرَضَانِ[1].

من قوله هذا يتبين أن العلاقة بين المعنى التصريحي والمعنى التعريضي علاقة ملازمة، ووجه التعريض في هذا الشاهد يتمثل في أن الخطاب كان موجها لبني إسرائيل من ابتداء الآية، وفيه حث لهم على تذكر نعمة الله عليهم، وعلى تفضيله لهم على العالمين، ثم أمرهم بالإيمان بالمنزل من عنده سبحانه وتعالى وهو القرآن الكريم، وأكد ذلك بأن لا يكونوا أول كافر به، وفيه وظف التعريض بهم، وغرضه البلاغي وحجاجيته يظهر في أمرين —كما سلف– أولهما توبيخهم وذمهم وتذكيرهم المتوالي بكثرة خياناتهم وتوليهم عن نصرة الحق واتباعه ولو كان ماثلا أمام أعينهم، وذلك في استعمال أسلوب النهي، وثانيهما دعوتهم إلى المسارعة إلى الإيمان بالقرآن الكريم واتباع دعوة الإسلام وأن الملة التي يظنون أنها الحق محرفة وليست من الحق في شيء، وحتى إن كانت صحيحة فالإسلام ناسخ لها، والقرآن الكريم ناسخ لتوراتها.

والآلية الحجاجية الموظفة في هذا التعريض آلية لسانية لغوية.

وقد سبق ابنَ عاشور إلى هذا القول الزمخشريُّ فقال: «وهذا –أي في محل الشاهد– تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أوّل من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه والمستفتحين على الذين كفروا به، وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم، فلما بعث كان أمرهم على العكس»[2]. وهو عين ما ذهب إليه ابن عاشور وإن اختلفا في الصيغة المعبرة.

[1] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 460.

[2] الزمخشري: الكشاف، ج 1، ص 131.

وقال به أيضا الرازي[1]، والبيضاوي[2]، والنسفي[3]، وأبو حيان[4]، وأبو السعود[5]، والقاسمي[6]، واقتصروا عليه، والأغلب في هذا أنهم كانوا كلهم عالة على الزمخشري؛ إذ يعد أول القائلين به، إلا أن ابن عاشور أبدع في استخراجه لثلاثة أقوال زيادة على قولي الزمخشري في التعريضين الأول بالملازمة والثاني بالمماثلة.

[1] الرازي: مفاتيح الغيب، ج 3، ص 483.

[2] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 1، ص 76.

[3] النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج 1، ص 84.

[4] أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج 1، ص 287.

[5] أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 1، ص 96.

[6] القاسمي: محاسن التأويل، ج 1، ص 299.

النموذج الرابع: في قوله تعالى:{وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾}[1].

قال ابن عاشور مبينا مناسبة الآية لسياق الآيات السابقة لها ومفهومها الظاهر منها، ثم العلة في العدول من استخدام الفاء إلى الواو:

> موقِعُ هَاتِهِ الْآيَاتِ مِنْ سَوَابِقِهَا موقِعُ النَّتِيجَةِ بَعْدَ الدَّلِيلِ، فَإِنَّهُ لَمَّا بَيَّنَ فَضَائِلَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَوْلِهِ: {وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ...} إِلَى هَنَا عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَ هَاتِهِ الْفَضَائِلِ لَا يَعْدِلُ عَنْ دِينِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ إِلَّا سَفِيهُ الْعَقْلِ أَفِنَ الرَّأْيِ، فَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ تُعْطَفَ عَلَى سَوَابِقِهَا بِالْفَاءِ وَإِنَّمَا عَدَلَ مِنَ الْفَاءِ إِلَى الْوَاوِ لِيَكُونَ مَدْلُولُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ فِي تَكْمِيلِ التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ حَقِيقٌ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ لَا مِنْ خُصُوصِ مَا حَكَى عَنْهُ فِي الْآيَاتِ السَّالِفَةِ، وَفِي التَّعْرِيضِ بِالَّذِينَ حَادُوا عَنِ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ مُتَضَمِّنًا لِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ[2].

وختم فقرته بتوضيح الطرف المعرض بهم، وأنهم الحائدون عن الملةِ الحنيفية لا اليهودية ولا النصرانية، ملةِ التوحيد لا الشرك، ملةِ إبراهيم عليه السلام.

ووجه التعريض في هذا الشاهد هو أنه لما كانت الآية أول آية تلي الشطر الأول من السورة الذي اختص ببني إسرائيل وأفعالهم وانحرافاتهم وادعائهم الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام جاءت الآيات تبين عظم منزلته وحقيقته -بذكر قصة ابتلائه بالكلمات، وجعله إماما للناس، واتخاذ مقامه مصلى، وتطهيره البيت الحرام للطائفين والعاكفين والركع السجود، ودعائه الله أن يجعل ذلك البلد آمنا، ورفعه لقواعد الكعبة هو وابنه إسماعيل عليه السلام ، ثم دعائه أن يبعث في ذريته رسولا منهم يعلمهم ما يطهر عقولهم ويطهرهم بما يزكي نفوسهم- كل ذلك كان أدلة على أن ملة إبراهيم عليه السلام تختلف

[1] سورة البقرة: الآية 130.

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 724.

اختلافا جذريا عن ما يدعيه المنتسبون إليه زورا، ثم أعقبت ذلك بالنتيجة اللازمة لمثل هذه الأدلة، والتي تقتضي أن المنحرف عنها سفيه العقل وقليله، وأنه لم يعرف طريق الحق والخير لنفسه فضلا عن أن يعرفها لغيره، فلما كان الأمر كذلك لزم أن بني إسرائيل سفهاء النفوس ضعفاء العقول، وهذا السبب في كون هذا التعريض تعريض بالملازمة.

وتكمن بلاغته في: التنويه بجانب الموصوف وهو إبراهيم عليه السلام، والذم والتقريع والإهانة لمن حاد عن نهجه القويم وصراطه المستقيم، وتتجلى حجاجية التعريض هنا في: إعلاء قيمة هذا الرسول العظيم، وعظم مكانته وقدره عند الله عز وجل؛ فمن كان مقتديا –يا بني إسرائيل– فليقتد به لأنه حنيف مسلم ليس مشركا بالله العظيم ولا منحرفا عن السبيل القويم، وفي خفض ووضاعة بني إسرائيل، وأنهم ليسوا إلا مجموعة من السفهاء الأغبياء ضعاف الإدراك، فجمع التعريض بين رفع طرف وخفض آخر، وفي هذا مفارقة عجيبة تفسر كون اسمي الله الحسنين متلازمين لا يذكر أحدهما إلا مع الآخر وهما: الرافع والخافض سبحانه وتعالى.

ولا يعد ابن عاشور أول السابقين إلى اكتشاف التعريض في هذه الآية، فقد سبقه البقاعي بقوله: «{وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ}[1] المستقيم الطريقة، الطاهر الخليقة، الشفيق على ذريته، الباني لهم أعظم المفاخر، المجتهد لهم في جليل المناقب والمآثر، {إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ}[2] أي: امتهنها واحتقرها واستخف بها، أي فعل بها ما أدى إلى ذلك؛ وفي ذلك تعريض بمعاندي أهل الكتاب».[3]

وقال القاسمي فيها أيضا: «وفي ذلك تعريض بمعاندي أهل الكتاب والمشركين، أي لا يرغب عن ملته الواضحة الغرّاء إلا من سفه نفسه، أي حملها على السفه وهو الجهل»[4].

---

[1] سورة البقرة: الآية 130.
[2] سورة البقرة: الآية 130.
[3] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 2، ص 163.
[4] القاسمي: محاسن التأويل، ج 1، ص 400.

ولم يتطرق إلى هذا الموضع قبل ابن عاشور غير هذين المفسرَيْن -حسب الذي اعتمدنا عليه-.

والآليات الحجاجية الموظفة في هذا التعريض آليات حجاجية منطقية، لوجود عوامل حجاجية (من، عن، إلا...)، وروابط حجاجية (كأسلوب الشرط والاستثناء).

النموذج الخامس: في قوله تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾}[1].

قال ابن عاشور: «وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَالْمَعْنَى أَنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِلَّذِينَ سَجِيَّتُهُمُ الْعَقْلُ، وَهُوَ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِآيَاتِ ذَلِكَ لَيْسَتْ عُقُولُهُمْ بِرَاسِخَةٍ وَلَا هِيَ مَلَكَاتٌ لَهُمْ»[2].

ومحصول قوله: أن خلق السماوات والأرض وتكوينهما، وتعاقب الليل والنهار وتداخلهما في بعضهما مع اختلافهما، والسفن التي تقطع البحار في جلب منافع الناس من أكل وحلي ومال...، والغيث الذي ينزل من السماء رحمة للعباد والدواب، واختلاف حال الرياح من قوية إلى خفيفة، ومن شرقية إلى غربية، ومن شمالية إلى جنوبية بما تقتضيه حكمة الله تعالى وتناسب ذلك مع مصلحة العباد...، ووجود السحاب بين السماء والأرض على اختلاف وظائفه من حمل للغيث أو البرد... كل ذلك يستوجب عقلا متدبرا متفكرا فيه فإنه –وغيره– يمثل آيات الله المنظورة والقرآن المشاهد، وأن الذي لا يتأمل عجيب خلق الله ووظائف هذه المخلوقات وغاياتها وتكويناتها والمراحل التي تمر بها: ليس بعاقل، وتسميته بالعاقل جهل أو افتراء، ومحل الشاهد تعريض به؛ إذ إنه مهما انشغل عقل المرء بشيء فليس يهديه ذلك لشيء، بخلاف التفكر في مخلوقات الله فإنه يقوده إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى الغوص في بحار محبته والتعرف إليه، والاطلاع على شيء من حكمته البالغة وإبداعه في خلقه.

---

[1] سورة البقرة: الآية 164.

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 89.

ووجه كونه تعريضا بالملازمة لا بالمماثلة عدم ذكره لتمثيل أو صورة، وإنما ذكره لمعنى صريح - هو أن العاقل حقا من يتدبر الآيات السابقة الذكر ولا يغفل عنها- يستلزم معنى تعريضيا هو أن غير العاقل محجوب عن خير عظيم وفضل جسيم، والغرض البلاغي وراء هذا التعريض وحجاجيتُه يكمنان في اللوم والتوبيخ والإهانة للغافل عن تدبر ملكوت الله وآياته الباهرة، وفي الوقت نفسه إشادة بفضيلة وعظم شأن تدبر مخلوقات الله وأحوالها وتغيراتها.

والآلية الحجاجية الموظفة في هذا التعريض هي آلية منطقية عقلية، إذ يحتوي تركيبه على عوامل (إن، لام التوكيد)، وروابط حجاجية (التوكيد، والتخصيص).

وهذا النوع من التعريض -التعريض بقلة الفهم والعقل- مشهور في كلام العرب شعرا ونثرا.

وقد سبق إلى القول بالتعريض في هذ الشاهد أبو السعود؛ إذ عبر عن ذلك بقوله: «وفيه تعريضٌ بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلم آيةً تصدِّقه في قوله تعالى وإلهكم إله واحد وتسجيلٌ عليهم بسخافة العقولِ وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجدَ كلاً منها ناطقةً بوجوده تعالى ووحدانيته وسائرِ صفاتِه الكماليةِ الموجبةِ لتخصيصِ العبادةِ بهِ تعالى واستُغني بها عن سائرها»[1]، ومعنى كلامهما متقارب، إذ إن ابن عاشور أخذ هذا النقل عن البقاعي ثم عبر عنه بأسلوبه؛ لأن تفسير أبي السعود يعد أحد أهم المراجع عند ابن عاشور لما ألف تفسيره هذا، والله أعلم.

[1] أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 1، ص 158.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث توصلنا إلى نتائج أهمها:

- التعريض أسلوب معروف في اللغات الإنسانية ومنذ القدم، ووجوده في لغة ما يدل على رقيها ومقدار الأخلاق التي يتصف بها أهلها، والعرب على وجه الخصوص يعيبون كلام المتكلم إذا كان كله تصريحا، وإذا كان كل كلامه تعريضا، فالأصل في كلامهم التصريح، والتعريض عارض.
- يعد ابن عاشور أكثر المفسرين استخراجا لمواضع التعريض في القرآن الكريم على الإطلاق، ومن الدليل على ذلك وجود حوالي ثمانين موضعا في سورة البقرة لوحدها، وما يقارب 780 موضعا للتعريض في القرآن الكريم كله، ويليه في المرتبة –مع فارق كبير واضح– أبو السعود، وهذا ليس دليلا إلا على تخصص ابن عاشور في فهمه لهذا الأسلوب وإحداثه للفوارق.
- يعتبر ابن عاشور المجلي الحقيقي لمفهوم التعريض بقسميه: التلازمي والتماثلي سواء في تنظيره أو في تطبيقه، وإن كان الطيبي سبق إلى ذكرهما دون تفصيل كبير نظريا أو تطبيقيا، فالأسلوب التعبيري التصويري الذي أبدع فيه ابن عاشور أيما إبداع هو التعريض.
- لا يمكن فهم التعريض –في الكلام العام– إلا بفهم سياقه ومقامه وقرائنه، ويتأكد ذلك أكثر في القرآن الكريم؛ فلا بد من معرفة أحد السياقين الداخلي أو الخارجي، أو هما معا، ولذلك نجد ابن عاشور أبدع في علم المناسبة فسهل عليه ذلك فهم مواضع التعريض واستنباط مواضع غابت عن أكثر المفسرين سواء بالملازمة أو بالمماثلة.
- مهما نظَّر العلماء للتعريض فهو يبقى خفي الدلالة وغامضها؛ لذلك نجد محل شاهد التعريض يختلف من عالم لآخر –بل قد لا يراه بعضهم إلا تصريحا لا تعريض فيه–، وإن اتفقوا في محل الشاهد اختلفوا في تخريجه وفهمهم له، وهذا يدل حقيقة على غموض التعريض، فليس كل من قصد بتعريض فهمه، وخصوصا فهمُه في القرآن الكريم.

- التحقيق هو أن التعريض أسلوب يخالف أسلوب الكناية، وهذا ما درج عليه أئمة كالزمخشري، والسكاكي، وابن عاشور، و.. بخلاف ما عليه بعضهم، وإن كان كثير من المتأخرين لا يزالون يخلطون بينهما.
- قد تصل إلى غرض باستخدام التعريض لن تصل إليه لو صرحت أو استخدمت أسلوبا آخر، ولله المثل الأعلى، فخلف كل تعريض في القرآن الكريم أسرار إعجازية، ونكت تربوية، وأحكام فقهية، وقواعد أصولية، تأملات كونية... ينبغي للعاقل أن يشتغل بالبحث عنها، فالسعي في ذلك تجارة مربحة.
- احتواء سورة البقرة على نوعي التعريض وذلك لطولها وتعدد مضامينها، وإن كانت شواهد التعريض بالمماثلة لا تتجاوز العشرة، بينما شواهد الملازمة تربو على السبعين موضعا.
- حسب النماذج المطبق عليها، فحجاجية التعريض في سورة البقرة –حسب قراءة ابن عاشور– تتمثل في عناصر أهمها[1]:
  - التنويه بالموصوف والإشارة إليه بالتعظيم وإعطاء القدر الحقيقي له.
  - الذم للطوائف المنحرفة من مشركين ومنافقين وأهل كتاب...
  - اللوم والتوبيخ... وغيرها.
- مكانة الزمخشري في علم البلاغة عند المفسرين عموما وعند ابن عاشور خصوصا؛ إذ جعل كشافه أهم مصادر كتابه، فيتتبع أقواله نقدا وردا واستدراكا وتخطيئا وتوجيها؛ لأن أغلب من جاؤوا بعده أخذوا عنه، فالاهتمام بالمصدر أولى من الاهتمام بالمرجع، وهذا ما صنعه ابن عاشور، فتجده يقول: «قال الزمخشري»، أو يقول «صاحب (الكشاف)».
- تناسب مواضيع السورة مع نوع التعريض الموظف فيها، فقضية كالحث على الجهاد أو التحذير من مخالفة أوامر الله تعالى تتطلب تمثيلا يكون به تعريض للمتلقي حتى يعتبر بحال الممثل به إيجابا أو سلبا، وموضوع كضرورة تدبر خلق الله يتطلب تعريضا بالملازمة؛ فلو قصر فهم المتلقي

[1] ينظر: ذهب يوسف صابون: التعريض في القرآن الكريم معناه، أمثلته، أحكامه، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، (د/م)، ع 29، 24-12-2014، ص 7 – 16.

عن فهم هذا التعريض فهو -من باب أولى- أقصر في تدبر ملكوت الله الذي هو أعظم من ذلك، وهكذا في كل قضية.

- للتعريض دوره البالغ في الإقناع، لتضمينه كثير من المعاني التي لو ذكرت لما أدت المعنى المطلوب، وهذا أبلغ في الحجاج والمحاججة، لذلك انتشرت مؤخرا إرهاصات تدل على أن الحجاج بالضمني باب واسع وله آفاق واسعة في مستقبل الدراسات الحجاجية.

وأما بالنسبة للاقتراحات والتوصيات التي تقدم بخصوص هذا الموضوع:

- إكمال دراسة التعريض وحجاجيته في القرآن الكريم كله من خلال تفسير ابن عاشور، فهو مجدد في هذا الباب.
- دراسة حجاجية أساليب بلاغية أخرى في هذا التفسير كالكناية والتلويح والاستعارة...
- تسهيل علم الحجاج ونظرياته بتبسيط مصطلحاته وتوحيدها بعد تطهيرها من شوائب الانحرافات الغربية العقدية والفكرية والأخلاقية...، فهي أكبر عائق أمام الطلبة والباحثين المبتدئين فوق صعوبة المادة العلمية للحجاج بنفسه.

والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- المعاجم والقواميس:

- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط 1/ 2001 م.

- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، (د/م)، ط 2005/8 م.

- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (د/ط)، 2010 م.

- الكتب:

- ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، (د/ط-ت).

- أحمد مطلوب: فنون بلاغية (البيان، البديع)، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 1/ 1975 م.

- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط 2/ 2007 م.

- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المطبعة السلفية، القاهرة مصر، ط 1/ 1400 هـ.

- البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د/ ط-ت).

- البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان، ط 1/ 1418 هـ، ج 1 ص 40.

- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، (د/ط)، 1941 م.

- الخولي إبراهيم محمد عبد الله: التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر القاهرة، ط 1/ 2004 م.

- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د/ ط)، 2006 م.

- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1 / 1998 م.

- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2000/1 م.

- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، (د/ط-ت).

- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط 32/ 2003 م.

- السيوطي أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1988/1 م.

- الشريف الجرجاني علي بن محمد: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (د/ م–ط–ت).

- طبانة بدوي: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مطبعة الرسالة، مصر، ط 2/ 1958 م.

- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (د/م)، ط 1/ 2000 م.

- الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (د/م)، ط 1/ 2013 م.

- ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (ط/د)، 1984 هـ.

- ابن عاشور محمد الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس، الأردن، ط 2/ 2001 م.

- القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، ط 2/ 2003 م.

- محمد سليمان عبد الله الأشقر: زبدة التفسير بهامش مصحف المدينة المنورة، دار النفائس، الأردن، ط 1/ 2013 م.

- مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، (د/ط–ت).

- الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، (د/ط)، 1955 م.

- مصطفى مسلم وآخرون: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، ط 1/ 2010.

- المجلات والدوريات:

- ساموه علي، أسلوب التعريض في القرآن الكريم وفوائده التربوية، (د/باقي البيانات).

- ذهب يوسف صابون: التعريض في القرآن الكريم معناه، أمثلته، أحكامه، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، (د/م)، ع 29، 24-12-2014.

- سبع بلمرسلي: التعريض بالملازمة في تفسير الزمخشري (الكشاف)، مجلة فص الخطاب، جامعة ابن خلدون — تيارت، الجزائر، جوان 2021.

- سبع بلمرسلي: حجاجية التعريض بطريق المماثلة في قراءة الزمخشري للخطاب القرآني من خلال تفسيره الكشاف -دراسة مقارنة لنماذج مختارة-، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، (د/باقي البيانات).

- الرسائل والأطروحات:

- إدريس محمد أبكر محمد: الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران جمعا ودراسة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الدراسات العليا، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2011 م.

- البشابشة أحمد بدري منصور: وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، (د/ د- م)، 1428 هـ.

- بوزناشة نور الدين: الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، الجزائر، 2015-2016 م.

- خالد محمود محمد عزام: التناسب القرآني عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة تطبيقية:(الجزء الأول والجزء الثلاثون من القرآن الكريم)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، إربد، الأردن، 2007 م.

- رانية جهاد إسماعيل الشوبكي: الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية – غزة، فلسطين، 2009 م.

- صالحي إبراهيم: التعريض في مدائح المتنبي الكافورية دراسة في الأسلوب والدلالة، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، الجزائر، 2008-2009 م.

- عبد الباقي البشير محمد سليمان: منهج الإمام ابن عاشور في التفسير من خلال كتابه التحرير والتنوير دراسة تحليلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، 2017 م.

فهرس الآيات القرآنية

رأس الآية	رقم الآية	السورة	الصفحات الواردة فيها
كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩	29	ص	2
تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢	42	فصلت	2
وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ	235	البقرة	5
بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا	63	الأنبياء	7
وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ	116	المائدة	9
ٱلله لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ	255	البقرة	16
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا	26	البقرة	30-29
إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ	73	الحج	29
مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ	41	العنكبوت	30

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾	40 – 41	البقرة	33
وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾	61	البقرة	35
وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ	50	البقرة	35
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ	243	البقرة	38

ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾			
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾	246	البقرة	38
هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾	5-2	البقرة	48-43
هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴿٧﴾	7	سبأ	44
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾	7-6	البقرة	47

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ إلى قوله تعالى صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾	4-8	البقرة	47
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾	41-40	البقرة	50
وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾	130	البقرة	54-53
إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾	164	البقرة	56

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- إهداء:

- شكر وتقدير:

- مقدمة..

- الفصل الأول الجانب النظري..د

- مفهوم التعريض:.. 2

- لغة: 2

- اصطلاحا: 4

- الفرق بين التعريض والكناية: 9

- تعريف الحجاج: 13

- لغة: 13

- اصطلاحا: 13

- المراد بحجاجية التعريض: 14

- سورة البقرة خصائصها ومضمونها: 16

- ترجمة مختصرة للمؤلف (محمد الطاهر بن عاشور): 19

- التعريف بالمدونة (تفسير التحرير والتنوير): 23

- الفصل الثاني: الجانب التطبيقي 27

- المبحث الأول: التعريض بالمماثلة (المقايسة): 28

- الموضع الأول: 29

- الموضع الثاني: 33

- الموضع الثالث: 35

- الموضعين الرابع والخامس: 38

- المبحث الثاني: التعريض بالملازمة (الاقتضاء): 42

- الموضع الأول: 43

- الموضع الثاني: 47

- الموضع الثالث: 51

- الموضع الرابع: 54

- الموضع الخامس: 56

- خاتمة: 59

- قائمة المصادر والمراجع: 63

- فهرس الآيات القرآنية..

-فهرس الموضوعات: 75

فهرس الموضوعات

ملخص:

تناقش هذه المذكرة كيفية كون التعريض آلية للحجاج وأسلوبا للتأثير وآلية للإقناع في الخطاب القرآني, وذلك من خلال تفسير التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور, وفي سورة البقرة منه على وجه التحديد, وذلك باستعراض تاريخ المصطلح وبيان اختلاف العلماء في تعريفه ووضع حدوده, لكونه غامضا الدلالة في التنظير له من جهة, وفي التطبيق على النصوص من جهة أخرى, وفوق ذلك كونه أصعب في تطبيقه على الوحيين, ثم إن أفضل من حده وعرفه هو الإمام ابن عاشور استعانة بأقوال الأئمة السالفين كالزمخشري والطيبي, وقد قسمه إلى قسمين: أول بالمماثلة أو المقايسة, وآخر بالملازمة أو الاقتضاء, وقد اخترنا لكل من القسمين خمسة نماذج من قراءة ابن عاشور في هذه السورة ومقارنتها بأقوال غيره من المفسرين.

Abstract:

This note discusses how exposure is a mechanism for pilgrims, a method of influence and a mechanism of persuasion in the Qur’anic discourse, through the interpretation of liberation and enlightenment by Imam Muhammad al-Tahir bin Ashour, and specifically in Surat al-Baqarah from him, by reviewing the history of the term and clarifying the differences of scholars in its definition and setting its limits, because it is ambiguous The significance in theorizing it on the one hand, and in applying it to texts on the other hand, and on top of that being more difficult to apply it to the two revelations, then the best of its definition and definition is Imam Ibn Ashour using the sayings of the previous imams such as Al-Zamakhshari and Al-Taybi, and he divided it into two parts: the first by analogy or analogy , and another by concomitant or necessary, and we have chosen for each of the two sections five models of reading Ibn Ashour in this surah and comparing them with the sayings of other commentators.